محمود مبارك ١٩٢٨ - ١٩٢٩
م-ج-٣-٣ ١٢٤٧ - ١٢٤٨

الشوقيات للمدارس

نظم



قررت وزارة المعارف العمومية استعمال هذا الكتاب
لمدارس المعلمين والمعلمات الأولية والمدارس الثانوية

يطلب من

نجيب متري
صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

١٣٤٥ هـ — ١٩٢٧ م

مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر

العلم والتعليم ٦٣

قبيل افتتاح البرلمان الاول فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٤
أقام نادى مدرسة المعلمين العليا حفلاً ألقيت فيه هذه القصيدة

الانسانية مدينة للمعلم — المعلم ومصير الشعوب — جناية الحقيقة على أهلها — التعليم فى مصر يتعثر — الأمية فى الكفور — واجب المعلم — البرلمان — روح الدستور — من أحق بالتمثيل ؟

قُمْ للمعلّمِ وفِّهِ التبجيـــلا ... كاد المعلّـمُ أن يكونَ رسولا

أعلمتَ أشرفَ أو أجلَّ من الذى ... يبنى ويُنشئ أنفساً وعقولا ؟

سبحانك اللهمَّ ، خيرَ معلّمٍ ... علَّمتَ بالقلم القرونَ الأولى

أخرجتَ هذا العقلَ من ظُلماتِه ... وهديتَه النورَ المبينَ سبيلا

وطبعتَه بيدِ المعلّـــمِ ، تارةً ... صَدِئَ الحديدِ وتارة مصقولا [1]

أرسلتَ بالتوراةِ موسَى مرشِداً ... وابنَ البتولِ فعلَّم الإنجيلا [2]

وفَجّرتَ ينبوعَ البيانِ محمداً ... فسقى الحديثَ وناولَ التنزيلا [3]

علَّمتَ يوناناً ومصرَ فزالتا ... عن كلِّ شمسٍ ما تُريدُ أُفولا

---

(١) طبع السيف صاغه ، وصدىء الحديد أى غير مجلو ولا مصقول (٢) البتول لقب السيدة مريم عليها السلام (٣) التنزيل القرآن

واليومَ أصبحنا بحالِ طفولةٍ ‏ فى العلمِ تلتمسانه تطفيلا[1]

من مَشرقِ الأرضِ الشموسُ تظاهرتْ ‏ ما بالُ مغربِها عليه أُديلا[2]

يا أرضُ مُذْ فقدَ المعلمُ نفسَه ‏ بين الشموسِ وبين شرقِك حِيلا

ذهب الذين حَمَوْا حقيقةَ علمِهم ‏ واستعذبوا فيها العذابَ وبيلا

فى عالمٍ صحِبَ الحياةَ مقيَّداً ‏ بالفردِ ، مخزوماً به ، مغلولا[3]

صرعته دنيا المستبدِّ كما هوتْ ‏ من ضربةِ الشمسِ الرءوسُ ذُهولا

سُقراطُ أعطى الكأسَ وهى منيةٌ ‏ شفتى مُحِبٍّ يشتهى التقبيلا

عرضوا الحياةَ عليه وهى غباوةٌ ‏ فأبى وآثرَ أن يموت نبيلا[4]

إن الشجاعةَ فى القلوبِ كثيرةٌ ‏ ووجدتُ شجعانَ العقولِ قليلا

* * *

إن الذى خلق الحقيقةَ علقما ‏ لم يُخلِ من أهلِ الحقيقة جيلا

ولربما قتل الغرامُ رجالَها ‏ قُتِلَ الغرامُ ، كم استباحَ قتيلا

أوَ كلُّ من حامى عن الحق اقتنى ‏ عند السواد ضغائناً وذُحولا[5]

لو كنت أعتقدُ الصليبَ وخَطْبُه ‏ لأقمتُ من صَلْبِ المسيحِ دليلا

* * *

(١) التطفيل التطفل (٢) أديل المغرب على المشرق أى فاقه وانتزع منه الدولة
(٣) مخزوماً به أى مسخراً له (٤) النبل الذكاء (٥) الذحول جمع ذحل وهو الثار

أمعلمى الوادى وساسةَ نشئه ‏ والطابعينَ شبابَه المأمولا

والحاملينَ إذا دُعوا ليُعلِّموا ‏ عبءَ الأمانةِ فادحاً مسئولا

ونِيَتْ خُطا التعليم بعد محمدٍ ‏ ومشى الهُوَيْنا بعد إسماعيلا

حتى رأينا مصرَ تخطو إصبعاً ‏ فى العلم ، إن مشتِ الممالكُ ميلا

تلك الكفورُ وحَشْوُها أميةٌ ‏ من عهد « خوفو » لم تر القنديلا

تجدُ الذين بنى « المِسلَّةَ » جدُّهم ‏ لا يُحسنون لإبرةٍ تشكيلا !

ويُدَلَّلون إذا أُريدَ قيادُهم ‏ كالبُهْمِ تأنسُ إذ ترى التدليلا

يتلو الرِّجالُ عليهمو شهواتِهم ‏ فالناجحون ألذُّهم ترتيلا

الجهلُ لا تحيا عليه جماعةٌ ‏ كيفَ الحياةُ على يدَى عِزريلا ؟

* * *

ربُّوا على الإنصافِ فتيانَ الحِمَى ‏ تجدوهمُ كهفَ الحقوقِ كهولا

فهو الذى يبنى الطباعَ قويمةً ‏ وهو الذى يبنى النفوسَ عُدولا

ويُقيمُ منطقَ كلِّ أعوجَ منطقٍ ‏ ويُريه رأياً فى الأمور أصيلا

وإذا المعلمُ لم يكن عَدْلاً مشى ‏ روحُ العدالةِ فى الشباب ضئيلا

وإذا المعلمُ ساءَ لحظَ بصيرةٍ ‏ جاءتْ على يده البصائرُ حُولا[1]

(١) الحول جمع حولاء والحولاء من فى عينها حول والحول اقبال الحدقة على الانف وهو عيب

وإذا أتى الإرشادُ من سبب الهوى ... ومن الغرورِ فسمِّه التضليلا

وإذا أُصيبَ القومُ فى أخلاقهم ... فأقِمْ عليهم مأتماً وعويلا

إنى لأعذُرُكم وأحسبُ عبئَكم ... من بين أعباء الرجال ثقيلا

وجدَ المساعدَ غيرُكم وحُرِمتُمو ... فى مصرَ عونَ الأمهاتِ جليلا

وإذا النساء نشأنَ فى أُميَّةٍ ... رضَعَ الرجالُ جهالةً وخمولا

ليس اليتيمُ من انتهى أبواهُ من ... همِّ الحياةِ، وخلَّفاه ذليلا

فأصابَ بالدنيا الحكيمة منهما ... وبحسن تربيةِ الزمان بديلا

إنَّ اليتيمَ هو الذى تلقى له ... أمًّا تخلتْ، أو أباً مشغولا (١)

* * *

مصرُ إذا ما راجعتْ أيامَها ... لم تلقَ للسَّبتِ العظيم مثيلا (٢)

(البرلمانُ) غداً يُمدُّ رواقه ... ظلاً عَلَى الوادى السعيدِ ظليلا

نرجو إذا التعليمُ حرَّكَ شَجوَه ... ألا يكون عَلَى البلاد بخيلا

قلْ للشبابِ: اليوم بُورِكَ غرسُكم ... دنتِ القطوفُ وذُلِّلتْ تذليلا

حَيُّوا من الشهداءِ كلَّ مغيَّبٍ ... وضعُوا عَلَى أحجاره إكليلا

ليكونَ حظ الحيّ من شُكرانكم ... جمًّا وحظُّ الميْتِ منه جزيلا

---

(١) أما تخلت عن تربيته وأبا مشغولا عن العناية به وتهذيبه (٢) السبت ١٥ مارس سنة ١٩٢٤ وهو اليوم الذى افتتح فيه (البرلمان) الاول . وقد كان هذا اليوم قريباً من يوم الاحتفال

لا يلمسُ الدستورُ فيكم روحَه ... حتى يرَى جُندِيَّه المجهولا (١)

ناشدتُكم تلك الدماءَ زكيةً ... لا تبعثُوا للبرلمان جهولا

فليسألَنَّ عن الأرائكِ سائلٌ ... أحملنَ فضلاً أم حملنَ فُضُولا

إن أنتَ أطلعتَ الممثّلَ ناقصاً ... لم تلقَ عند كماله التمثيلا

فادعوا لها أهلَ الأمانة واجعلوا ... لأولى البصائرِ منهمو التفضيلا

إن المقصّرَ قد يحولُ ولن ترى ... لجهالةِ الطبعِ الغبيِّ محيلا

فلرُبَّ قولٍ فى الرجالِ سمعتمو ... ثم انقضى فكأنه ما قيلا

ولكمْ نصرتم بالكرامة والهوى ... من كان عندكمو هو المخذولا

كرمٌ وصفحٌ فى الشبابِ وطالما ... كَرُمَ الشبابُ شمائلاً وميولا

قوموا اجمعوا شُعَبَ الأُبوةِ وارفعوا ... صوتَ الشباب محبَّباً مقبولا

أدُّوا الى العرش التحيةَ واجعلوا ... للخالق التكبيرَ والتهليلا

ما أبعدَ الغاياتِ إلا أننى ... أجدُ الثباتَ لكم بهنَّ كفيلا

فكِلوا الى اللهِ النجاحَ وثابروا ... فالله خيرٌ كافلا ووكيلا

---

(١) يريد بالجندى المجهول من يعمل فى غير جلبة ولا ضوضاء وفى غير انتظار مكافأة أو جزاء

آية العصر فى سماء مصر

نظمت هذه القصيدة احتفاء بمقدم الطيارين الفرنسيين
(فدرين) و (بونيه) الى مصر فى سنة ١٩١٤

فرنسا والطيران — تحية للضيوف — انتقام الأهرام —
وصف الطيارة — أمانى ونصائح للشباب

يا فرنسا نلتِ أسبابَ (١) السماء   وتملَّكتِ مقاليدَ الجِواء
غُلِبَ النَّسرُ على دولته   وتنحّى لكِ عن عرش الهواء
وأتتكِ الريحُ تمشى أَمةً (٢)   لكِ يا بُلْقيسُ (٣) من أوفى الإماء
رُوِّضَتْ بعد جماحٍ وجرتْ   طوعَ سلطانَيْنِ : علمٍ وذكاء
لكِ خيلٌ بجناحٍ أشبهتْ   خيلَ جبريلَ لنصرِ الأنبياء
وبريدٌ يسحب الذيلَ على   بُرُدٍ (٤) فى البر والبحر بِطاء (٥)
تطلعُ الشمسُ فيجرى دونها   فوق عُنقِ الريح أو متنِ العَماء (٦)
رحلةُ المشرقِ والمغربِ ما   لبثتْ غيرَ صباحٍ ومساء

(١) اسباب السماء : مراقيها أو طرقها أو نواحيها أو أبوابها (٢) الامة : المملوكة
(٣) صاحبة نبى الله سليمان الذى سخرت له الريح (٤) برد : جمع بريد
(٥) بطاء : جمع بطىء (٦) العماء السحاب المرتفع أو الكثيف أو الممطر أو الرقيق

بُسلاءُ الأنسِ والجن فدًى   لفريقٍ من بنيك البسلاء
ضاقتِ الأرضُ بهم فاتخذوا   فى السموات قبورَ الشهداء
فتيةٌ يُمسون جيرانَ السُّها (١)   سمراءَ النجم فى أوج العَلاء
حُوَّماً فوقَ جبالٍ لم تكن   للرياح الهوجِ يوماً بوِطاء
لسليمانَ بساطٌ واحد   ولهم ألفُ بساطٍ فى الفضاء
يركبون الشُّهْبَ والسُّحبَ الى   رفعة الذكر وعلياء الثناء
يا «نسوراً» هبطوا «الوادى» على   سالفِ الحبّ ومأثور الوَلاء
دارُكم مصرُ ، وفيها قومُكم   مرحباً بالأقربينَ الكرماء
طِرتمُ فيها فطارتْ فرحًا   بأعزّ الضيفِ (٢) خيرِ النزلاء
هل شجاكم فى ثرَى أهرامِها   ما أرقتمْ من دموعٍ ودماء ؟
أين نَسرٌ (٣) قد تلقّى قبلكم   عظةَ الأجيال من أعلى بناء ؟
لو شهدتم عصرَه أضحى له   عالمُ الأفلاكِ معقودَ اللواء
جرحَ الأهرامَ فى عزّتها   فمشى للقبر مجروحَ الإباء
أخذتْ تاجاً بتاجٍ ثأرَها   وجزت من صلَفٍ (٣) بالكبرياء

(١) السها : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى
(٢) الضيف : النزيل على غيره ويكون للواحد والجمع لأنه فى الاصل مصدر
(٣) يريد به نابليون الاول (٤) الصلف : مجاوزة قدر الظرف

وتمنّتْ لو حوتْ أعظمَه   بين أبناء الشموس العظماء

* * *

جلَّ شأن الله هادى خلقه   بهُدى العلم ونورِ العلماء

زفَّ من آياته الكبرى لنا   طِلْبةً طال بها عهدُ الرجاء

مركبٌ لو سلف الدهرُ به   كان إحدى معجزاتِ القدماء

نصفه طيرٌ، ونصفٌ بشرٌ !   يالها إحدى أعاجيب القضاء !

رائعٌ، مرتفعاً أو واقعاً،   أنفسَ الشجعان قبلَ الجبناء

مُسرَجٌ فى كل حين ملجَمٌ   كاملُ العُدَّة، مرموق الرُّواء (١)

كبِساط الريحِ فى القدرة أو   هُدهُدِ السيرةِ فى صدق البَلاء

أو كحوتٍ يرتمى الموجُ به   سابحٍ بين ظهورٍ وخَفاء

راكبٍ ما شاء من أطرافه   لا يُرى من مركبٍ ذى عُدَوَاء (٢)

ملأ الجوَّ فعالاً، وغدا   عجبَ الغربانِ فيه والحِداء

وترى السحبَ به راعدةً   من حديد جُمِّعت لا من رَواء (٣)

حمل الفولاذَ ريشاً، وجرى   فى عِنانين له : نارٍ وماء

وجَناحٍ غيرِ ذى قادمةٍ (٤)   كجَناح النحل مصقولٍ سَواء

(١) الرواء : حسن المنظر   (٢) مركب ذى عدواء : أى ليس بمطمئن
(٣) الرواء : الماء العذب   (٤) القادمة : واحدة القوادم وهى عشر ريشات فى مقدم الجناح وهى كبار الريش

وذُنابى، كلُّ ريحٍ مسَّها   مسَّهُ صاعقة من كهرباء

يتراءى كوكباً ذا ذَنَبٍ   فاذا جدَّ فسهماً ذا مَضاء

فاذا جاز الثريَّا للثرى   جرَّ كالطاووس ذيلَ الخُيلاء

يملأ الآفاق صوتاً وصدًى   كعزيف الجن فى الأرض العَراء

أرسلتْه الأرضُ عنها خبراً   طنَّ فى آذانِ سكان السماء

* * *

يا شبابَ الغد وأبناءَ الفِدى   لكُمُ أكرِمْ وأعزِزْ بالفِداء

هل يمدُّ اللهُ لى العيشَ، عسى   أن أراكم فى الفريقِ السعداء

وأرى تاجكمُ فوق السُّها   وأرى عرشكُمُ فوق ذُكاء (١)

من رآكم قال مصر استرجعتْ   عزَّها فى عهد «خوفو» و«مِناء»

أمةٌ للخلد ما تبنى، إذا   ما بنى الناسُ جميعاً للعفاء (٢)

تعصِمُ الأجسامَ من عادى البِلا   وتقى الآثارَ من عادى الفناء

إن أسأنا لكُمُ أو لم نسئ   نحن هَلْكَى فلكم طولُ البقاء

إنما مصرُ اليكمْ وبكمْ   وحقوقُ البرِّ أولى بالقضاء

عصرُكم حرٌّ ومستقبلُكم   فى يمين الله خيرِ الأمناء

(١) ذكاء : اسم للشمس   (٢) العفاء : الدروس والهلاك والفناء

لا تقولوا حطنا الدهر ، فما   هو إلا من خيالِ الشعراء
هل علمتم أمـةً فى جهلها   ظهرتْ فى المجد حسناء الرداء
باطنُ الأمةِ من ظاهرِها   إنما السائل من لونِ الإناء
فخذوا العـلمَ على أعلامه   واطلبوا الحكمة عند الحكماء
واقرأوا تاريخكمْ واحتفظوا   بفصيحٍ جاءكمْ من فصحاء
أنزلَ اللهُ على ألسنهم   وحيَه فى أعصر الوحى الوِضاء[1]
واحكموا الدنيا بسلطانٍ فما   خُلِقت نضرتها للضعفاء
واطلبوا المجدَ على الأرض فان   هى ضاقت فاطلبوه فى السماء

---

(١) الوضاء : المشرقة الحسنة

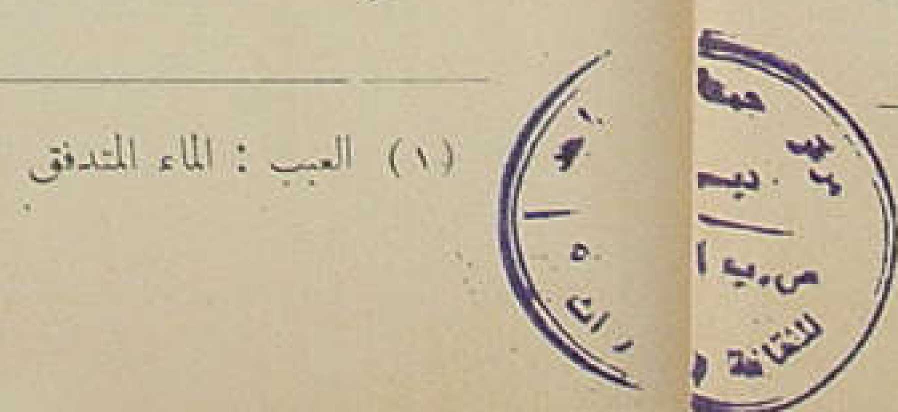
منظر طلوع البدر

فى صيف سنة ١٩١٠ كان الشاعر بالبحر عائداً من الاستانة ، وكان البدر يشرق ذات ليلة ، فاقترح عليه زملاءه فى السفر أن يصف هذا المشهد البديع ، فنظم قصيدة فى مطلعها هذه الابيات :

مَلِكَ السماء بهرتَ فى الأنوارِ   ففداكَ كلُّ متوّجٍ من سارى
لما طلعتَ على المياهِ تُنيرها   سكنتْ وقد كانتْ بغير قرارِ
وزهتْ لناظرِها السماء وقرَّ ما   فى البحر من عُبُبٍ[1] ومن تيّار
وأهلَّ للهِ السُّراةُ وأزلفوا   لك فى الكمالِ تحيةَ الإكبار
وتأملوك فكل جارحةٍ لهم   عينٌ تُسامر نورَها وتُسارى
والبدر منكَ على العوالمِ يجتلى   بِشرَ الوجوهِ وزحمةَ الأبصار
متقدّمٌ فى النور محجوبٌ به   مُوفٍ على الآفاق بالاسفار
يا دُرّةَ الغوّاصِ أُخرجَ ظافراً   يُمناه يجلوها على النُّظّار
متهللاً فى الماء أبدَى نصفه   يَسمُو بها والنصف كاسٍ عار

---

(١) العبب : الماء المتدفق



وَافى بك الأفقُ السَّماء فأسفرتْ   عن قُفْلِ ماسٍ فى سِوارِ نُضار

ونَهضتَ يَزْهو الكونُ منكَ بمنظرٍ   ضاحٍ ويَحملُ منك تاجَ فَخار

الماء والآفاقُ حولكَ فِضّةٌ   والشُّهْبُ دينارٌ لدى دِينار

والفُلْكُ مُشرِقةُ الجوانبِ فى الدُّجى   يَبْدو لها ذَيلٌ من الأنوار

بيْنا تَخطِرُ فى لُجَينٍ مائجٍ   إذ تَنْثَنى فى عَسْجدٍ زَخّار

وكأنَّها والموجُ منتظمٌ وقد   أوْفيتَ ثمّ دَنوْتَ كالمُحتار

غيْداء لاهيةٌ تَخُطُّ لأغيدٍ   شعراً ليقرأه وأنتَ القارى

رحلة الى الأندلس

هذه احدى القصائد التى نظمها الشاعر فى منفاه أيام الحرب

ذكرى الشباب — الحنين الى الوطن — قسوة القوة — أحلام الغريب — صور من ضفاف النيل — للدول حظ كحظ الرجال — قرطبة ماضيها وحاضرها قصور الأندلس — الحمراء فى صباها — تحيات

اختلافُ النَّهار والليل يُنسى   اذكرا لى الصِّبا وأيامَ أنسى

وصِفا لى مُلاوةً [1] من شبابٍ   صُوِّرت من تصوّرات ومَسِّ

عصفتْ كالصَّبا [2] اللَّعوبِ ومرّت   سِنةً [3] حُلْوةً ولذّةَ خَلْسِ [4]

وسلا مصرَ هل سلا القلبُ عنها   أو أسا [5] جُرحَه الزمانُ المؤسّى

كلما مرّت الليالى عليهِ   رقّ والعهدُ فى الليالى تُقسّى [6]

مُستَطار [7] إذا البواخر رَنّتْ [8]   أولَ الليل أو عوتْ بعد جَرْسِ [9]

راهب [10] فى الضلوع للسفن فَطْنٌ [11]   كلّما ثُرْنَ شاعَهن بنَقْسِ [12]

---

(١) الملاوة : البرهة من الدهر (٢) الصبا : ريح مهبها من مطلع الثريا الى بنات نعش
(٣) السنة : النعاس (٤) خلس الشيء : أخذه فى نهزة ومخاتلة
(٥) أسا الجرح : داواه (٦) قساه تقسية : أى صيره قاسياً
(٧) مستطار ، استطير الشيء : طير وانتشر (٨) رن : أى صاح ورفع صوته بالبكاء
(٩) الجرس : الصوت (١٠) الراهب هو من تبتل لله واعتزل عن الناس الى الدير طلباً للعبادة . ويشبه به القلب (١١) فطن للشيء : أى حذق به (١٢) النقس : ضرب النواقيس

يا ٱبنةَ اليمِّ (١) ما أبوكِ بخيلٌ ... ما لهُ مولعًا بمنعٍ وحبس

أحرامٌ على بلابله الدَّوْ ... حُ حلالٌ للطير من كل (٢) جِنس

كلُّ دار أحقُّ بالأهل الّا ... فى خبيثٍ من المذاهب رِجْس (٣)

نَفَسى (٤) مِرْجَلٌ وقلبى شِراعٌ ... بهما فى الدموع سيرى وأرسى

واجعلى وجهَكِ (الفنارَ) ومجرا ... كِ يدَ (الثغر) بين (رمل) و(مكس)

وطنى لو شُغِلْتُ بالخُلد عنه ... نازعتنى اليه فى الخلد نفسى

وهفا (٥) بالفؤاد فى سلسبيلٍ ... ظما للسواد (٦) من (عين شمس)

شَهِد اللهُ لم يَغِبْ عن جفونى ... شخصُه ساعةً ولم يَخْلُ حِسّى

يُصبح الفكرُ و(المسلّة) نادِ ... يه و(بالسَّرحة الزكيّة) يُمسى

وكأنى أرى الجزيرةَ أيكاً (٧) ... نَغَمتْ طيرُه بأرخم جَرس (٨)

هى (بلقيسُ) فى الخمائل صَرْحٌ (٩) ... من عبابٍ (١٠) وصاحبٌ غيرُ نِكس (١١)

حسبها أن تكونَ للنيل عِرساً ... قبلها لم يُجَنَّ يوما بِعرس

---

(١) اليم : البحر (٢) الدوح : جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة

(٣) الرجس : المأثم (٤) المرجل القدر من الحجارة والنحاس (٥) هفا أى أسرع

(٦) السواد : ما حول البلدة من القرى (٧) الايك : الشجر الكثير الملتف ، وقيل الغيضة تنبت السدر والاراك ونحوهما من ناعم الشجر (٨) الجرس : الصوت أو خفيه

(٩) الصرح القصر وكل بناء عال (١٠) العباب : الخوصة ، والعباب معظم السيل ، والعباب : ارتفاعه وكثرته ، (١١) النكس : الرجل الضعيف الدنىء الذى لا خير فيه

لبستْ بالأصيل حُلَّةَ وشىٍ ... بين صنعاء (١) فى الثياب وقَس (٢)

قدَّها النيلُ فاستحتْ فتوارتْ ... منه بالجسرِ بين عُرْىٍ ولُبس

وأرى النيلَ (كالعقيق) (٣) بوادي ... ه وان كان كوثرَ المتحسّى (٤)

ابنُ ماءِ السماءِ ذو الموكب الفخم ... الذى يَحسُر العيونَ ويُخسى (٥)

لا ترى فى ركابه غير مُثْنٍ ... بجميلٍ وشاكرٍ فضلَ غرس

وأرى (الجيزة) الحزينة ثَكْلَى ... لم تُفقْ بعد من مناحة (رمسى) (٦)

كثرتْ ضجةَ السواقى عليه ... وسؤالَ اليراع (٧) عنه بهَمْس

وقيامَ النخيل ضفّرن شعراً ... وتجردن غيرَ طوقٍ وسَلْس (٨)

وكأنَّ الأهرام ميزانُ فرعو ... ن بيوم على الجبابر نحس

أو قنـاطيره تأنّقَ فيها ... ألفُ جابٍ (٩) وألفُ صاحب مَكْس (١٠)

روعةٌ فى الضحى ملاعبُ جنّ ... حين يغشَى الدّجى حِماها ويُغسى (١١)

ورهينُ (الرمال) أفطسُ إلّا ... أنه صُنْعُ جنَّة غير فُطْس (١٢)

---

(١) صنعاء : قصبة بلاد اليمن ، وقرية بباب دمشق (٢) ثوب قسى وتكسر قافه منسوب الى قس وهو موضع بين العريش والفرماء من أرض مصر (٣) العقيق : كل سيل شقه ماء السيل ، ويعنى بالعقيق هنا عقيق المدينة وهو معروف

(٤) المتحسى أى الشارب (٥) يخسى من خسا البصر كل وأعيا

(٦) رمسى : أى رمسيس (٧) اليراع : القصب (٨) سلست النخلة سلساً : ذهب كربها (٩) جاب : الجابى الذى يجمع الخراج (١٠) المكس : دراهم كانت تؤخذ من بائعى السلع فى الاسواق فى الجاهلية (١١) يغسى : يظلم (١٢) فطس الرجل : تطأمنت قصبة أنفه وانتشرت فى وجهه فهو أفطس ، جمع فطس

تجلَّى حقيقةُ الناس فيـه   سَبُعُ الخَلْقِ فى أسارير إنسى

لعبَ الدهرُ فى ثراه صبياً   والليالى كواعباً غير عُنْس [١]

ركبت صُيَّدُ [٢] المقادير عينيـه   لنَقْدٍ ومخلبيـه لفَرْس [٣]

فأصابت به الممالكَ (كسرى)   (وهِرَقلا) (والعبقرىّ الفرنسى)

يا فؤادى لكل أمرٍ قرارٌ   فيه يبدو وينجلى بعد لَبْس

عَقَلَتْ [٤] لُجّةُ الأمورِ عقولاً   كانت الحوتَ طولَ سبحٍ وغسّ [٥]

غرقتْ حيث لا يُصاخُ بطافٍ   أو غريقٍ ولا يُصاخ لحِسّ

فلكٌ يكسِف الشموسَ نهاراً   ويسومُ البدورَ ليلةَ وَكْس [٦]

ومواقيتُ للأمور إذا ما   بلغتها الأمورُ صارت لعَكْس

دولٌ كالرجال مرتهناتٌ   بقيامٍ من الجدود وتَعْس

وليالٍ من كل ذات سِوارٌ   لطمت كلَّ ربِّ (رومٍ) (وفُرْس)

سدّدت بالهلال قوساً وسلّتْ   خنجراً ينفذان من كل تُرس

حكمتْ فى القرون (خوفو) و(دارا)   وعفت [٧] (وائلا) وألوت (بعبس)

أين (مروانُ) فى المشارق عرشٌ   أمويٌّ وفى المغارب كرسى [٨]

---

(١) عنس جمع عانس وهى الجارية التى طال مكثها فى أهلها بعد ادراكها ولم تتزوج
(٢) صيد : واحدها صائد (٣) الفرس : الافتراس (٤) عقلت : قيدت
(٥) غس فى البلاد غساً : دخل فيها ومضى قدما (٦) ليلة الوكس : أى ليلة دخول القمر فى نجم منحوس (٧) عفت : درست (٨) كرسى : أى عرش

سَقِمتْ شمسهم فردَّ عليها   نورَها كلُّ ثاقب الرأى نَطْس [١]

ثم غابتْ وكل شمسٍ سوى هاتيـك   تَبلى وتَنْطوى تحت رمس [٢]

وعظ (البحترىَّ) إيوانُ (كسرى)   وشفتنى [٣] القصورُ من (عبد شمس)

رُبَّ ليلٍ سريتُ والبرقُ طِرْفى   وبساطٍ طويتُ والريحُ عَنْسى [٤]

أنْظم الشرقَ فى (الجزيرة) بالغر   ب وأطوى البلادَ حَزْناً [٥] لدَهس [٦]

فى ديارٍ من الخلائف [٧] دَرْسٍ   ومنارٍ [٨] من الطوائف طُمْس

ورُبًى كالجنان فى كنفِ الزيتو   ن خضرٍ وفى ذرا الكرم طُلْس [٩]

لم يرُعْنى سوى ثرًى قُرْطبىّ   لمستْ فيه عِبْرةَ الدهر خَمْسى

ياوقى اللهُ ما أُصبّح منـه   وسَقَى صفوةَ الحيا ما أُمسّى

قريةٌ لا تُعدّ فى الأرض كانت   تُمسك الأرضَ أن تميدَ وترْسى

غَشِيتُ ساحلَ المحيط وغطّتْ   لُجّةَ الروم من شراعٍ وقَلْس [١٠]

ركِب الدهرُ خاطرى فى ثراها   فأتى ذلك الحِمَى بعد حَدْس [١١]

فتجلّتْ لىَ القصورُ ومن فيـها   من العزّ فى منازلَ قُعْس [١٢]

---

(١) نطس أى عالم (٢) الرمس : القبر (٣) شفتنى : أى وعظتنى هى أيضاً وعظاً شافياً (٤) العنس : الناقة (٥) الحزن ما غلظ من الارض (٦) الدهس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب (٧) الخلائف جمع خليفة (٨) المنار : العلم يجعل للطريق (٩) طلس : واحدها أطلس وهو ما لونه أسود تخالطه غبرة (١٠) القلس : حبل السفينة (١١) الحدس : السير على غير هداية (١٢) القعس : العز الثابت

ما ضَفَتْ [1] قط فى الملوكِ على نذ   ل المعالى ولا تردّت بنَجْس

وكأنى بلغتُ للعلمِ بيتاً   فيه مالُ العقول من كل دَرس

قُدُساً فى البلاد شرقاً وغرباً   حجّه القومُ من فقيهٍ وقَس

وعلى الجمعةِ الجلالةُ و (النا   صرُ) نورُ الخميس [2] تحت الدَّرفس [3]

يُنزل التاجَ عن مفارقِ (دونٍ)   ويُحلّى به جبينَ (البرنس)

سِنةٌ من كرًى وطيفُ أمانٍ   وصحا القلبُ من ضلال وهَجْس [4]

واذا الدارُ ما بها من أنيسٍ   واذا القومُ ما لهم من مُحِسّ [5]

ورقيقٍ من البيوت عتيقٍ   جاوز الألفَ غيرَ مذموم حَرْس [6]

أثرٌ من (محمد) وتُراثٌ   صار (للزوح) ذى الولاء الأمَس [7]

بلَغَ النجمَ ذِرْوةً وتناهى   بين (ثهلان) [8] فى الأساس و (قُدس) [9]

مرمرٌ تسبَحُ النواظرُ فيه   ويَطُول المدى عليها فتُرسى

وسَوارٍ [10] كأنها فى استواءٍ   ألِفاتُ الوزير [11] فى عَرض طِرْس

فترةُ الدهر قد كست سطرَيها [12]   ما اكتسى الهُدْبُ من فتورٍ ونَعْس

(١) ضفت : من ضفا : سبغ واتسع (٢) الخميس : الجيش (٣) الدرفس : العلم الكبير (٤) الهجس : كل ما وقع فى خلد الانسان (٥) محس : أى حاس بهم (٦) الحرس : الدهر (٧) الامس : الاقرب (٨) ثهلان : جبل بالعالية (٩) قدس : جبل عظيم بنجد (١٠) السوار : واحدتها سارية وهى الاسطوانة (العمود) (١١) الوزير : يعنى به ابن مقلة المشهور بجودة الخط (١٢) سطريها : صفوفها

ويحها كم تزيّنت لعليمٍ   واحد الدهر واستعدت لخمس [1]

وكأن الرَّفيفَ [2] فى مسرح العيـ   ـن ملاءٌ مُدنّرات الدِمَقْس [3]

وكأن الآيات فى جانبيه   يتنزّلن من معارج [4] قُدْس

منبرٌ تحت (مُنذرٍ) [5] من جلالٍ   لم يزلْ يكتسيه أو تحتَ (قسّ)

ومكان الكتابِ يُغريك ريّاً   وِرْده [6] غائباً . فتدنو لِلَمس

صَنْعةُ (الداخل) [7] المبارك فى الغر   ب وآلٍ له ميامينَ شُمْس [8]

* * *

من (لحمراء) جُلّلت بغُبار الـ   ـدهر كالجُرح بين بُرءٍ ونُكس

كسنا البرق لو محا الضوءَ لحظاً   لمحتها العيونُ من طول قَبْس

حِصْن (غرناطة) ودارُ بنى (الأحمر)   من غافلٍ ويقظانَ نَدْس [9]

جلّل الثلجُ دونها رأسَ (شِيرى)   فبدا منه فى عصائبَ بِرْس [10]

سَرْمدٌ شيبُه ولم أرَ شيباً   قبله يُرجى البقاءَ ويُنسى

مشت الحادثاتُ فى غُرَف (الحمراء)   مشىَ النعيّ فى دار عُرْس

(١) ويحها كم تزينت لعليم : أى لمدرس عالم . واستعدت لاقامة الصلوات الخمس (٢) الرفيف : السقف (٣) الدمقس : الحرير (٤) المعارج : واحدها معرج وهو السلم والمصعد (٥) منذر : هو قاضى الاندلس منذر المعروف بالعدل والزهد (٦) ريا ورده : أى رائحة ورده (٧) الداخل : هو عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام مؤسس الدولة الاموية بالاندلس (٨) الشمس : الاباة (٩) الندس : الفهم (١٠) عصائب برس : أى بيض كالقطن

هتكت عزة الحجاب وفضت   سدة الباب من سمير وأنس

عرصات تخلت الخيل عنها   واستراحت من احتراس وعس (١)

ومغان على الليالى وضاء   لم تجد للعشى تكرار مس

لا ترى غير وافدين على التا   ريخ ساعين فى خشوع ونكس

نقلوا الطرف فى نضارة آس   من نقوش وفى عصارة ورس (٢)

وقباب من لازورد وتبر   كالربى الشم بين ظل وشمس

وخطوط تكفلت للمعانى   ولألفاظها بأزين لبس

وترى مجلس السباع خلاء   مقفر القاع من ظباء وخنس

لا (الثريا) ولا جوارى الثريا   يتنزلن فيه أقمار إنس

مرمر قامت الأسود عليه   كلة الظفر لينات المجس

تنثر الماء فى الحياض جمانا   يتنزى على ترائب ملس

آخر العهد بالجزيرة كانت   بعد عرك من الزمان وضرس (٣)

فتراها، تقول: راية جيش   باد بالأمس بين أسر وحس (٤)

ومفاتيحها مقاليد ملك   باعها الوارث المضيع ببخس

خرج القوم فى كتائب صم   عن حفاظ (٥) كموكب الدفن خرس

---

(١) العس: احتراس الليل (٢) الورس: نبات أحمر اللون (٣) الضرس: من ضرس الزمان القوم اشتد عليهم (٤) الحس: القتل (٥) الحفاظ: الذب عن المحارم

ركبوا بالبحار نعشا وكانت   تحت آبائهم هى العرش أمس

رب بان لهادم وجموع   لمشت ومحسن لمخس

إمرة الناس همة لا تأتى   لجبان ولا تسنى لجبس (١)

وإذا ما أصاب بنيان قوم   وهى خلق فإنه وهى أس

يا ديارا نزلت كالخلد ظلا   وجنى دانيا وسلسال أنس

محسنات الفصول لا ناجر (٢)   فيها بقيظ ولا جمادى بقرس (٣)

لا تحس العيون فوق رباها   غير حور حو (٤) المراشف (٥) لعس (٦)

كسيت أفرخى بظلك ريشا   وربا فى رباك واشتد غرسى

هم بنو مصر لا الجميل لديهم   بمضاع ولا الصنيع بمنسى

من لسان على ثنائك وقف   وجنان على ولائك حبس

حسبهم هذه الطلول عظات   من جديد على الدهور ودرس

وإذا فاتك التفات إلى الما   ضى فقد غاب عنك وجه التأسى

---

(١) الجبس: الجبان (٢) شهر رجب أو صفر أو كل شهر من شهور الصيف
(٣) بقرس: ببارد (٤) حو المراشف أى سمر الشفاه وهو مستملح من النساء
(٥) المراشف: الشفاه (٦) اللعس: سواد مستحسن فى الشفة

عظات وخواطر

هذه الابيات من قصيدة نظمها الشاعر ذكرى للمولد النبوى الشريف

خداع الحياة — الراحة فى طاعة الله — المال بين الحرص والجود — نهاية الخير والشر — فضل الزكاة — اليأس يخترم الشباب — عدل الله — جناية البخل — الناس سواء

سلوا قلبي غداةَ سلا وتابا ... لعلَّ على الجمالِ له عِتابا
ويُسألُ فى الحوادثِ ذو صوابٍ ... فهل تَرَكَ الجمالُ له صوابا ؟
وكنتُ إذا سألتُ القلبَ يوماً ... تولَّى الدمعُ عن قلبي الجوابا
ولى بين الضلوع دمٌ ولحمٌ ... هما الواهى[1] الذى ثَكِلَ الشبابا
تَسرَّبَ فى الدموع فقلتُ ولَّى ... وصفَّقَ فى الضلوعِ فقلت ثابا[2]
ولو خُلِقتْ قلوبٌ من حديد ... لما حَمَلَتْ كما حَمَلَ العذابا
وكلُّ بساطِ عيشٍ سوف يُطوى ... وإن طالَ الزمانُ به وطابا
كأنَّ القلبَ بعدهمُ غريبٌ ... إذا عادته ذكرى الأهل ذابا
ولا يُنبيكَ عن خُلُقِ الليالى ... كمن فقدَ الأحبةَ والصِّحابا

(١) الواهى الضعيف وثكل الشباب فقده والمقصود بالدم واللحم هنا القلب
(٢) ثاب رجع بعد ذهاب

أخا الدنيا ، أرى دنياكَ أفعى ... تُبدِّلُ كلَّ آونةٍ إهابا
وأن الرُّقْطَ[1] أيقظُ هاجعاتٍ ... وأترعُ[2] فى ظلالِ السِّلمِ نابا
ومن عجبٍ تُشيِّبُ عاشقِيها ... وتُفنيهم وما بَرِحتْ كَعابا[3]
فمن يغترُّ بالدنيا فانى ... لبستُ بها فأبليتُ الثيابا
لها ضَحِكُ القِيانِ[4] إلى غبيٍّ ... ولى ضحكُ اللبيب إذا تغابى
جنيتُ بروضِها ورداً وشوكاً ... وذقتُ بكأسِها شُهْداً وصابا
فلم أرَ غيرَ حكمِ الله حكماً ... ولم أرَ دون باب الله بابا
ولا عظَّمْتُ فى الأشياء إلا ... صحيحَ العلم ، والأدبَ اللُّبابا[5]
ولا كرَّمتُ إلا وجهَ حرٍّ ... يقلِّدُ قومَه المِنَنَ الرِّغابا[6]
ولم أرَ مثلَ جمعِ المالِ داءً ... ولا مثلَ البخيلِ به مُصابا
فلا تقتلْكَ شهوتُه ، وزِنْها ... كما تزنُ الطعامَ أو الشرابا
وخذ لبنيك والأيام ذخراً ... وأعطِ الله حِصَّتَه احتسابا[7]
فلو طالعتَ أحداثَ الليالى ... وجدتَ الفقرَ أقربَها انتيابا[8]
وأن البرَّ خيرٌ فى حياةٍ ... وأبقى بعد صاحبِه ثوابا

(١) جمع رقطاء وهى الحية على جلدها سواد مشوب بالبياض (٢) ترع أسرع الى الشر
(٣) الجارية الناهد (٤) القيان جمع قينة وهى الامة المغنية (٥) المختار الخالص
(٦) الارض الرغاب التى لا تسيل الا من مطر كثير (٧) احتسب عند الله أمراً قدمه
(٨) انتابه اتاه مرة بعد أخرى

وأن الشرَّ يصـدعُ فاعليهِ ولم أر خيِّراً بالشر آبا

فرفقاً بالبنـينَ إذا الليالى على الأعقاب أوقعتِ العِقَابا

ولم يتقلّدوا شكرَ اليتامى ولا ادَّرعوا (١) الدعاء المستجابا

عجبتُ لمعشرٍ صلوا وصاموا ظواهرَ خشيةٍ وتُقَى كِذَابا (٢)

وتُلفيهم حيالَ المالِ صُمًّا إذا داعى الزَّكاةِ بهم أهابا (٣)

لقد كتموا نصيبَ اللهِ منهُ كأن الله لم يُحصِ النّصابا

ومن يعدِلْ بحبِّ اللهِ شيئاً كحب المال ، ضلَّ هوًى وخابا

أراد اللهُ بالفقراء برا وبالأيتام حُبًّا وارتبابا (٤)

فربَّ صغيرِ قومٍ علَّموه سما وحمى المُسوَّمةَ العِرابا (٥)

وكان لقومه نفعاً وفخراً ولو تركوه كان أذًى وعابا (٦)

فعلِّمْ ما استطعت ، لعل جيلا سيأتى يُحدثُ العَجَبَ العُجابا

ولا تُرهقْ (٧) شبابَ الحىِّ يأساً فان اليأسَ يخترمُ (٨) الشبابا

يريد الخالقُ الرزقَ اشتراكا وإن يكُ خصَّ أقواماً وحابى (٩)

فما حَرَمَ المجدَّ جَنًى (١٠) يديه ولا نسىَ الشقىَّ ولا المُصابا

---

(١) أدرع لبس الدرع (٢) الكذاب الكذب (٣) أهاب به دعاه
(٤) أرتب الصبي ارتبابا رباه حتى أدرك (٥) الخيل المسومة المرعية والخيل العراب الكرائم (٦) العيب (٧) ارهقه طغيانا أغشاه اياه (٨) يستأصله
(٩) حاباه اختصه ومال اليه (١٠) الجنى ما يجنى من الشجر

ولولا البخلُ لم يهلكْ فريقٌ على الأقدارِ تلقاهُم غِضَابا

تعبتُ بأهله لوماً ، وقبلى دعاةُ البر قد سئموا الخطابا

ولو أنى خطبت على جماد فَجَرْتُ به الينابيعَ العِذابا

ألم ترَ للهواء جرى فأفضَى (١) إلى الأكواخِ واخترقَ القِبابا

وأن الشمسَ فى الآفاق تَغْشَى حمى كسرى كما تغشى اليبابا (٢)

وأن الماءَ تَرْوَى الأسدُ منهُ ويَشْفِى من تلعلعِها (٣) الكِلابا

وسوَّى (٤) الله بينكمو المنايا ووسَّدكُم مع الرسْل الترابا

---

(١) بلغ (٢) اليباب القفر (٣) تلعلع الكلب دلع لسانه عطشا
(٤) جعلكم فيها سواء

بعد المنفى

هذه القصيدة أنشدت فى اجتماع لجان التموين بدار الاوبرا الملكية سنة ١٩٢٠
وكانت مؤتنف شعر الشاعر بعد عودته من منفاه ببلاد الاندلس

وداع وشكر للاندلس — دمعة على عزها الغابر — معول الزمن —
العودة الى الوطن بعد اليأس من لقائه — مغفرة للايام —
صوت الشباب — ضوائق البلاد — آلام الفقير — دعوة الى البر والمعروف

أنادى الرسمَ[١] لو ملكَ الجوابا   وأجزيهِ بدمعىَ لو أثابا
وقلَّ لحقهِ العبراتُ تجرى   وإن كانت سوادَ القلب ذابا
سَبقْنَ مُقبِّلاتِ التربِ عنى   وأدَّيْنَ التحيـــةَ والخطابا
نثرتُ الدمعَ فى الدمن[٢] البوالى   كنظمى فى كواعبها[٣] الشبابا
وقفتُ بها كما شاءتْ وشاءوا   وقوفاً علَّمَ الصبرَ الذهابا
لها حقٌّ وللأحبابِ حقٌّ   رَشفتُ وصالهم فيها حُبابا[٤]
ومن شكرَ المناجمَ محسناتٍ   إذا التبرُ انجلى شكر الترابا
وبين جوانحى وافٍ ألوفٌ   إذا لمح الديار مضى وثابا

(١) الرسم ماكان لاحقا بالارض من آثار الدار (٢) آثار الديار
(٣) الكواعب من الجوارى ناهدات الثدى والمراد بها هنا الديار قبل أن تستحيل الى دمن (٤) رشف الماء مصه بشفتيه والحباب الحب

رأى مَيْلَ الزمانِ بها فكانت   على الأيام صحبتُه عتابا

* * *

وداعاً أرض أندلسٍ وهذا   ثنائى إن رضيت به ثوابا
وما أثنيت إلا بعـد علمٍ   وكم من جاهلٍ أثنى فعابا
تَخِذْتُكِ موئلا[١] فحللتُ أندى   ذراً من وائلٍ[٢] وأعزَّ غابا
مُغرِّبُ آدمٍ من دار عدنٍ   قضاها فى حماكِ لى اغترابا[٣]
شكرتُ الفُلْكَ يوم حويتِ رحْلى   فيا لمفارقٍ شكر الغُرابا
فأنتِ أرحتِنى من كل أنفٍ   كأنف الميْتِ فى النَّزع انتصابا
ومنظرِ كلِّ خوَّانٍ يرانى   بوجه كالبغىِّ رمى النقابا
وليس بعامرٍ بنيانُ قومٍ   إذا أخلاقُهم كانت خرابا

* * *

أحقٌّ كنتِ للزهراء ساحاً   وكنتِ لساكنِ (الزاهى) رحابا؟
ولم تكِ (جور) أبهى منكِ وَرْداً   ولم تكُ بابلٌ أشهى شرابا ؟
وأن المجدَ فى الدنيا رحيقٌ   إذا طال الزمانُ عليه طابا ؟
أولئك أمةٌ ضربوا المعالى   بمشرقها ومغربها قبابا

(١) وأل طلب النجاة والموئل الملجأ (٢) جبل وسميت به قبيلة من العرب
(٣) ان الله الذى أخرج آدم من الجنة ليجعل الارض منفاه قد قضى على أن يكون منفاى فى جنة من حماك . وهذه مبالغة من الشاعر فى تكريم هذه البلاد التى آوته وهو غريب

جرى كدراً لهم صفوُ الليالى ... وغايةُ كلِّ صفوٍ أن يُشابا

مشيَّبةُ القرونِ أُديلَ منها[1] ... ألم ترَ قرنَها فى الجو شابا

معلقةً تَنظُرُ صولجاناً ... يخرُّ عن السماء بها لِعابا

تُعَدُّ بها على الأممِ الليالى ... وما تدرى السنينَ ولا الحسابا

* * *

ويا وطنى لقيتُكَ بعدَ يأسٍ ... كأنى قد لقيت بك الشبابا

وكلُّ مسافرٍ سيؤوبُ يوماً ... إذا رُزِقَ السلامةَ والإيابا

ولو أنى دُعيتُ لكنتَ دِينى ... عليه أُقابل الحتم المجابا[2]

أدير اليك قبل البيت وجهى ... إذا فُهتُ الشهادةَ والمتابا

وقد سبقتْ ركائبىَ القوافى ... مقلَّدةً أزمّتُها طِرابا

تجوبُ الدهرَ نحوكَ والفيافى ... وتقتحمُ الليالىَ لا العُبابا

وتُهديكَ الثناءَ الحرَّ تاجاً ... على تاجيكَ مؤتلقاً عُجابا

* * *

هدانا ضوءُ ثغركَ من ثلاثٍ ... كما تهدى (المنوَّرةُ) الركابا

وقد غشَّى المنارُ البحرَ نوراً ... كنار (الطور) جلَّلتِ[3] الشعابا

(١) أدال الله فلانا من فلان نزع الدولة من الثانى وحولها الى الاول . والكلام على الشمس

(٢) دعيت الى الموت نوديت والحتم المجاب هو الموت (٣) جلل الشىء غطاه وعمه

وقيل الثغرُ، فاتأدتْ فأرسَتْ ... فكانت من ثَراكَ الطُّهرِ قابا

فصفحاً للزمانِ لصبحِ يومٍ ... به أضحى الزمانُ إلىَّ تابا

وحيا اللهُ فتياناً سِماحاً ... كسوا عِطفىَّ من فخرٍ ثيابا

ملائكةٌ إذا حفّوكَ يوماً ... أحبَّكَ كلُّ من تلقى وهابا

وإن حملتْكَ أيديهم بحوراً ... بلغتَ على أكفِّهم السحابا

تلقَّوْنى بكلِّ أغرَّ زاهٍ ... كأن على أسرَّتِه شهابا

ترى الإيمانَ مؤتلقاً عليه ... ونورَ العلم والكرمَ اللُّبابا[1]

وتلمحُ من وضاءةِ[2] صفحتيه ... محيا مصرَ رائعةً كَعابا

وما أدبى لما أسدوه أهلٌ ... ولكنْ من أحبَّ الشىءَ حابى

شبابَ النيل: إن لكم لصوتاً ... ملبًّى حين يُرفعُ مستجابا

فهزّوا (العرشَ) بالدعواتِ حتى ... يُخفِّفَ عن كنانتِه العذابا

أمن حرب البَسوسِ إلى غلاءٍ ... يكادُ يُعيدُها سَبعاً صِعابا؟

وهل فى القوم يوسفُ يتَّقيها ... ويُحسنُ حِسبةً[3] ويرى صوابا

عبادُكَ ربِّ قد جاعوا بمصرٍ ... أنيلاً سُقتَ فيهم أم سرابا

حنانَك واهدِ للحسنى تجاراً ... بها ملكوا المرافقَ والرقابا

ورقِّقْ للفقيرِ بها قلوباً ... محجَّرةً وأكباداً صِلابا

(١) الخالص (٢) الوضاءة الحسن والنظافة (٣) الحساب

أمن أكلَ اليتيم له عقابٌ ... ومن أكلَ الفقيرَ فلا عِقابا ؟

أصيبَ من التِّجار بكل ضارٍ ... أشدَّ من الزمان عليه نابا

يكاد إذا غَـذَاه أو كساه ... ينازعه الحشاشةَ (١) والإهابا

وتسمعُ رحمةً فى كُلِّ نادٍ ... ولستَ تحسُّ للبر انتدابا

أكُلٌّ فى كتاب الله إلاّ ... زكاةَ المالِ ليست فيه بابا

إذا ما الطاعمون شكَوْا وضجُّوا ... فدعْهُم واسمع الغَرْثَى (٢) السِّغابا

فما يبكون من ثُكْلٍ ولكن ... كما تصفُ المعدِّدة المصابا

ولم أر مثلَ سوق الخيرِ كسباً ... ولا كتِجارة السوءِ اكتسابا

ولا كأولئك البؤساءِ شاءً ... إذا جوَّعتَها انتشرت ذئَابا

ولولا البرُّ لم يُبْعَثْ رسولٌ ... ولم يَحملْ إلى قومٍ كِتابا

---

(١) الحشاشة بقية الروح فى المريض والاهاب الجلد

(٢) الغرثى جمع غرثان وهو الجائع والسغاب جمع ساغب وهو الجائع أيضاً

أنس الوجود

قدمت هذه القصيدة الى المستر روزفلت الرئيس الاسبق للولايات المتحدة
حينما زار مصر فى سنة ١٩١٢

الهيكل الغريق — الفن القديم — عبرة على الأطلال —
ذكريات الماضى البعيد — تحية ووصية للنزيل

أيها المُنْتَحِى (بأسوانَ) داراً ... كالثريا تُريد أن تَنقضَّا

إخلع النعلَ واخفِض الطرفَ واخشعْ ... لا تحاولْ من آيةِ الدهرِ غضَّا

قِفْ بتلك (القصور) فى اليمّ غَرْقى ... مُمسِكاً بعضُها من الذعر بعضا

كعذارى أخفَيْنَ فى الماء بَضًّا (١) ... سابحاتٍ به وأبدَيْنَ بَضَّا

مُشرفاتٍ على الزوالِ وكانتْ ... مُشرفاتٍ على الكواكب نَهْضا

شابَ من حولها الزمانُ وشابتْ ... وشبابُ الفنونِ ما زال غضَّا

ربَّ « نقشٍ » كأنّما نفَض الصا ... نعُ منه اليدَيْن بالأمسِ نَفْضا

و « دهانٍ » كلامعِ الزيتِ مرَّتْ ... أعْصُرٌ بالسراج والزيت وُضَّا (٢)

و (خطوطٍ) كأنها هُدْبُ ريمٍ (٣) ... حَسُنَتْ صَنعةً وطولاً وعَرضا

---

(١) بضا ، البض : الرخص الجسد   (٢) وضا : وضاء   (٣) ريم : غزال

و « ضحايا » تكاد تمشى وترعى   لو أصابت من قدرة الله نبضا

و « محاريب » كالبروج بنتها   عزمات من عزمة الجن أمضى (١)

شيدت بعضها الفراعين زلفى (٢)   وبنى البعض أجنب يترضى (٣)

و « مقاصير » أبدلت بفتات المسك تربا وباليواقيت قضا (٤)

حظها اليوم هدة وقديما   صرفت فى الحظوظ رفعا وخفضا

سقت العالمين بالسعد والنحس الى أن تعاطت النحس محضا (٥)

صنعة تدهش العقول وفن   كان إتقانه على القوم فرضا

* * *

يا قصورا نظرتها وهى تقضى (٦)   فسكبت الدموع والحق يقضى

أنت سطر ومجد مصر كتاب   كيف سام البلى كتابك فضا

وأنا المحتفى بتاريخ مصر   من يصن مجد قومه صان عرضا

رب سر بجانبيك مزال   كان حتى على « الفراعين » غمضا

قل لها فى الدعاء لو كان يجدى   يا سماء الجلال لا صرت أرضا

حار « فيك » المهندسون عقولا   وتولت عزائم العلم مرضى

أين ملك حيالها وفريد   من نظام النعيم أصبح فضا (٧)

(١) أمضى : أحد (٢) زلفى : تقربا (٣) يترضى : يطلب الرضا
(٤) قضا : حصى (٥) محضا : خالصا (٦) تقضى : تفنى (٧) فضا : مفضوض

أين « فرعون » فى المواكب تترى   يركض المالكين كالخيل ركضا

ساق للفتح فى الممالك عرضا   وجلا للفخار فى السلم عرضا

أين « إيزيس » تحتها النيل يجرى   حكمت فيه شاطئين وعرضا

أسدل الطرف كاهن ومليك   فى ثراها وأرسل الرأس خفضا

يعرض المالكون أسرى عليها   فى قيود الهوان عانين جرضى (١)

ما لها أصبحت بغير مجير   تشتكى من نوائب الدهر عضا

هى فى الأسر بين صخر وبحر   ملكة فى السجون فوق حضوضى (٢)

أين « هوروس » بين سيف ونطع   أبهذا فى شرعهم كان يقضى

ليت شعرى قضى شهيد غرام   أم رماه الوشاة حقدا وبغضا

رب ضرب من سوط فرعون مض (٣)   دون فعل الفراق بالنفس مضا

وهلاك بسيفه وهو قان   دون سيف من اللواحظ ينضى (٤)

قتلوه فهل لذاك حديث   أين راوى الحديث نثرا وقرضا

* * *

يا إمام الشعوب بالإمس واليو   م ستعطى من الثناء فترضى

(مصر) بالنازلين من ساح (معن) (٥)   وحمى الجود (حاتم) الجود أفضى

(١) جرضى : مغمومين (٢) حضوضى : جبل فى البحر (٣) مض : موجع
(٤) ينضى : يسل (٥) معن : هو معن بن زائدة أحد كرماء العرب

كُنْ ظَهيراً[1] لأهلها ونصيراً وابْذل النصحَ بعد ذلك مَحْضا

قل لقوم على (الولايات) أيقا ظٍ إذا ذاقت البريّةُ غُمْضا

شيمة (النيل) أن يَفِي وعجيب أحرجوه فضيّع العهدَ نَقْضا

حاشه[2] الماء فهو صَيْدٌ كريم ليت بالنيل يوم يسقط غَيْضا[3]

شِيد والمالُ والعلومُ قليلٌ أنقذوه بالمال والعلم نَقْضا[4]

(١) ظهيرا : نصيرا (٢) حاشه : من حاش الصيد : أحرجه فى كل مكان
(٣) غيضا : من غاض الماء غيضا : نقص أو غار فذهب فى الارض (٤) نقضا : النقض ما انتقض من البناء : أى انتكث

أيها العمال

هذه القصيدة نظمت سنة ١٩٢٣

استنهاض للعمال — نظرة فى تاريخ الجدود — وسائل الفلاح — فخر العامل

أيها العمّالُ أفنوا الـ ـعمرَ كدًّا واكتسابا

واعْمُرُوا الارضَ فلولا سعيُكم أمستْ يبابا[1]

إنّ لى نصحاً إليكم إن أذِنْتُمْ وعتابا

فى زمانٍ غَبِيَ النا صحُ فيه أو تغابى

أين أنتم من جدودٍ خَلّدوا هذا الترابا؟

قلّدوه الأثرَ الـ ـمعجزَ والفنَّ العجابا

وكسوْه أبدَ الدهـ ـرِ من الفخر ثيابا

أتقَنوا الصنعةَ حتى أخذوا الخُلدَ اغتصابا

إن للمتقنِ عند الله والناسِ ثوابا

أتقِنوا يُحببْكُمُ الله ويرفعْكُم جنابا

أرضيتم أن تُرَى مصـ ـرُ من الفنِّ خرابا؟

بعدَ ما كانتْ سماءً للصناعاتِ وغابا

(١) الارض اليباب الخراب

أيها الغادون كالنحلِ ارتياداً وطِلابا
فى بكورِ الطير للرز قِ مجيئاً وذهابا
أطلبوا الحقَّ برفقٍ واجعلوا الواجب دابا(١)
واستقيموا يفتحِ الله لكمْ بابا فبابا
اهجروا الخمرَ تُطيعوا الله أو تُرضُوا الكِتابا
إنها رِجْسٌ فطوبَى لامرئٍ كفَّ وتابا
ترْعِشُ الأيدى ومن ير عشْ من الصنّاعِ خابا
إنما العاقلُ من يجعلُ للدهر حسابا
فاذكروا يومَ مشيبٍ فيه تَبكون الشبابا
إنّ للسن لهمّاً حين تعلو وعذابا
فاجعلوا من مالِكم للشيبِ والضعف نِصابا
واذكروا فى الصحة الدا ءَ اذا ما السُّقمُ نابا
واجمعوا المال ليومٍ فيه تلقون اعتصابا
قد دعا كم ذنبَ الهيئةِ داعٍ فأصابا
هى طاووسٌ وهلْ أحسنُه إلاَّ الذنابا ؟

(١) أى دأباً وخففت للضرورة

الصحافة

هذه الابيات من قصيدة ألقيت فى الاحتفال بتأليف نقابة تجمع الصحف العربية فى سنة ١٩٢٠

الصحافة آية العصر — وكر السعادة — الحظ والنبوغ — ليلة الاحتفال

لكل زمانٍ مضى آيةٌ وآيةُ هذا الزمانِ الصُّحُفْ
لسانُ البلادِ ونَبْضُ العبا دِ، وكهفُ الحقوق، وحربُ الجنَف(١)
تسيرُ مسيرَ الضُّحى فى البلا دِ، إذا العِلْمُ مزّق فيها السَّدَف(٢)
وتمشِى تُعلِّمُ فى أمةٍ كثيرةِ من لا يَخُطُّ الألِف!
فيا فتيةَ الصُّحْفِ صبراً إذا نبا الرزقُ فيها بكم واختلف
فإنّ السعادةَ غيرُ الظهو رِ، وغيرُ الثراء، وغيرُ الترَف
ولكنها فى نواحى الضميـ ـر إذا هو باللوْم لم يُكتنَفْ
خذوا القصدَ واقتنِعوا بالكفا ف وخلوا الفُضُولَ يَغلْها السرف(٣)
ورُوموا النبوغَ فمن ناله تلقَّى من الحظِّ أسنى التُّحَف
وما الرّزق مجتنِبٌ حرفةً إذا الحظ لم يهجرِ المحترِف

(١) الجنف الحيف (٢) السدف الظلام (٣) الفضول فضلات المال الزائدة عن الحاجة . وغالها السرف يغولها أتى عليها

إذا آختِ الجوهَرىَّ الحظو ظُ كفلنَ اليتيمَ له فى الصدَفْ[(١)]

وإن أعرضتْ عنه لم يحلُ فى عُيونِ الخرائد[(٢)] غيرُ الخزف

* * *

رعى الله ليلتكم ، إنها تلتْ عنده ليلة المنتصف[(٣)]

لقد طلعَ البرُّ من جُنحِها وأوما إلى صُبحِها أن يقِف

جَلوتُمْ حَواشيهـا بالفنو نِ من كلِّ فنٍّ جميلٍ طَرَف

فان تسألوا ما مكان الفنو نِ ، فكم شرفٍ فوق هذا الشَّرَف[(٤)]

أريكة (موليرَ) فيما مضى وعرشُ (شِكسْبيرَ) فيما سَلف

وعُودُ (ابن ساعدةٍ)[(٥)] فى عكا ظَ إذا سال خاطِرُه بالطُّرَف

فلا يرقيَنْ فيـه إلا فتى إلى درجاتِ النبوغِ انصرف

تُعَلِّم حكمتُه الحاضريـن وتسمعُ فى الغابرينَ النُّطَف[(٦)]

(١) اليتيم اللؤلؤ المنقطع النظير (٢) الخرائد العذارى (٣) منتصف شعبان
(٤) الشرف أولا العلو والمجد . والشرف ثانيا الموضع العالى وهنا المسرح
(٥) أى ومنبرقس بن ساعدة وهو أخطب خطباء الجاهلية (٦) الغابرين الآتين والنطف جمع نطفة وهى أصل النسل

ذكرى كارنارفون

كان للورد كارنارفون فضل العثور على كنوز الملك الشاب — توت عنخ آمون — بوادى الملوك . وقد توفى اللورد فى سحر ليلة (الخميس) الخامس من شهر ابريل سنة ١٩٢٣ بفندق الـكونتننتال على أثر لسع بعوضة تسمم منها دمه فلم تمهله أكثر من خمسة عشر يوما وافاه فى نهايتها القضاء .

وهذه الابيات من قصيدة رثاه فيها الشاعر

خواطر عن الموت — خلود الذكر بالعمل الصالح — أموت الفقيد انتقام من روح توت عنخ آمون ، أم هو الأجل ؟

فى الموت ما أعيا وفى أسبابهِ كلُّ امرىءٍ رَهنٌ بِطَىِّ كتابهِ[(١)]

أسدٌ لعمرُك ، من يموتُ بظُفرهِ عند اللقاءِ كمن يموت بنابهِ[(٢)]

إن نامَ عنكَ فكلُّ طبٍّ نافعٌ أو لم ينمْ ، فالطبُّ من أذنابهِ

داءُ النفُوسِ وكلُّ داءٍ قبلهُ همٌّ نسينَ مجيئَه بذهابهِ[(٣)]

النفسُ حربُ الموتِ إلا أنَّها أتتِ الحياةَ وشُغلُها من بابهِ[(٤)]

(١) ما أعيا أى ما أتعب وأعجز عن ادراك حقيقته . رهن بطى كتابه أى باق فى الحياة كبقاء الرهن حتى ينتهى أجله (٢) لعمرك يقول النحاة انه قسم اللام فيه لتوكيد الابتداء . وهو مبتدأ خبره محذوف أى لعمرك قسمى أو ما أقسم به (٣) الداء العلة والمرض . نسين أى النفوس (٤) حرب الموت أى حرب للموت والمراد أنها تكرهه وتدافعه . أتت جاءت الضمير فى شغلها للحياة والضمير فى بابه للموت .

تَسَعُ الحياةَ على طويل بلائها ... وتضيقُ عنه على قصيرِ عذابه(١)

هو منزلُ السارى وراحةُ رائحٍ ... كثُرَ النهارُ عليه فى إتعابهِ(٢)

وشفاءُ هذى الروح من آلامها ... ودواء هذا الجسمِ من أوْصابه(٣)

من سرَّه ألاَّ يموتَ فبالعلا ... خَلَدَ الرجالُ وبالفعالِ النَّابهِ(٤)

ما مات من حازَ الثرى آثارَه ... واستولتِ الدُّنيا على آدابه(٥)

قلْ للمُدِلِّ بمالهِ وبجاهه ... وبما يُجِلُّ الناسُ من أنسابهِ(٦)

هذا الأديمُ يصدُّ عن حُضَّاره ... وينامُ ملءَ الجفنِ عن غُيَّابه(٧)

إلا فتى يمشى عليه مجدِّداً ... ديباجتيْه معمِّراً لخرابه(٨)

---

(١) بلاء الحياة ما فيها من ألم وهم . أى ان النفس تسع الحياة وتحتملها مع ما فيها من هموم وآلام لا تنتهى وتضيق عن الموت.وتأباه وهو ليس فيه الا شىء من الالم قصير

(٢) هو أى الموت . السارى الذى يقطع الليل سيراً . الرائح الذاهب . اتعابه مصدر أتعبه

(٣) وشفاء هذى الروح الى آخر البيت متصل بالبيت الذى قبله . والاوصاب الاوجاع جمع وصب (٤) العلا أما الرفعة والشرف وأما جمع عليا وهى المنزلة الرفيعة . الفعال النابه الفعل الشريف المذكور (٥) حاز الشىء ضمه اليه . الثرى التراب الندى . الآثار جمع أثر وهو ما بقى من الشىء . استولت على آدابه غلبت عليها وتمكنت منها . الآداب جمع أدب وهو كل ما يتخرج به الانسان من فضيلة من الفضائل (٦) المدل بماله الخ الذى يتيه به على أقرانه . الجاه القدر والمنزلة . يجل يعظم (٧) الاديم الجلد المدبوغ ، وقد يطلق على وجه الارض وهو المراد هنا . يصد عن حضاره يعرض عنهم . الحضار جمع حاضر . جفن العين غطاؤها من أعلاها وأسفلها ، والمراد العين نفسها . الغياب جمع غائب

(٨) الديباجتان الخدان . أى الا فتى يمشى على وجه الارض يجدد خديه والمراد ما يكون له كالخدين لوجه الانسان

صادتْ بقارعةِ الصَّعيدِ بعوضةٌ ... فى الجو صائدَ بازِه وعُقابه(١)

وأصاب خُرطومُ الذبابة صفحةً ... خُلقتْ لسيفِ الهندِ أو لذُبابه(٢)

طارتْ بخافية القضاءِ ورَأرأتْ ... بكريمتَيْه ولا مستْ بلُعابه(٣)

لا تسمعنَّ لعُصْبةِ الأرواحِ ما ... قالوا بباطلِ علمهمْ وكِذابه(٤)

الرُّوحُ للرحمنِ جلَّ جلالُه ... هى من ضنائنِ علمه وغِيابه(٥)

غُلِبوا على أعصابهم فتوهَّموا ... أوهامَ مغلوبٍ على أعصابه

* * *

ما آبَ جبَّارُ القُرونِ وإنما ... يومُ الحسابِ يكون يومَ إيابه(٦)

فذروه فى بلد العجائب مغمَداً ... لا تَشْهَروه كأمسِ فوق رقابه(٧)

---

(١) القارعة الشديدة من شدائد الدهر . الصعيد بلاد مصر العليا . الباز والعقاب من جوارح الطير . يقول ان تلك البعوضة صادت فى الجو من كان يصيد بزاته وعقبانه

(٢) الخرطوم الانف . المراد بالذبابة تلك البعوضة نفسها . وصفحة كل شىء جانبه . وذباب السيف طرفه الذى يضرب به (٣) الخافية واحدة الخوافى وهى ما دون الريشات العشر من مقدم الجناح . القضاء هنا معناه الصنع والتقدير والمراد به قضاء الله . رأرأت يقال رأرأ بعينيه اذا حدد النظر أو اذا أدارهما . الكريمتين العينين . اللعاب ما يسيل من الفم . الضمير فى طارت يرجع الى الذبابة (٤) العصبة من الرجال ما بين العشرة الى الاربعين والمراد هنا الجماعة بغير عدد الكذاب الكذب (٥) ضنائن علمه أى خصائص علمه مما اختص به نفسه فلا يعلم به سواه . غيابه أما جمع غيب وهو ما غاب عنك من الامر واما مصدر غاب يغيب وهو كالغيب فى معناه (٦) آب رجع . جبار القرون يريد توت عنخ آمون . يوم الحساب اليوم الآخر (٧) ذروه اتركوه . بلد العجائب الاقصر لما فيها من عجائب الآثار . مغمداً أى باقياً فى قبره كما يبقى السيف فى غمده . لا تشهروه من شهر السيف اذا سله يعنى لا تخرجوه محمولا على الرقاب كما كان يحمل على الرقاب التى يملكها وهو حى

المستبدُّ يطاقُ في ناووسه ... لا تحت تاجيه وفوق وِثابه (١)

والفردُ يُؤمَنُ شرُّه في قبره ... كالسيفِ نام الشرُّ خلفَ قِرابه (٢)

هل كانَ (توتنخٌ) تقمّصَ رُوحَه ... قُمُصَ البعوضِ ومُستخَسَّ إهابه (٣)

أو كان يَجزيك الردَى عن صُحبةٍ ... وهو القديمُ وفاؤه لصحابه (٤)

تاللهِ لو أهدَى لك الهرمينِ من ... ذهبٍ، لكان أقلَّ ما تُجزَى به

أنت البشيرُ به، وقيِّمُ قصره ... ومقدَّمُ النبلاءِ من حُجّابه (٥)

أعلمْتَ أقوامَ الزمانِ مكانَه ... وحشدْتَهم في ساحِهِ ورحابه (٦)

لولا بنانُك في طلاسِمِ تُربِهِ ... ما زادَ في شرفٍ على أترابه (٧)

---

(١) المستبد من استبد بالشيء اذا انفرد به . يطاق من أطاق الشيء اذا قدر عليه . الناووس هو مقبرة النصارى خاصة وقد استعمل لمقبرة سواهم . الوثاب السرير الذى لا يبرح الملك عليه (٢) قراب السيف قيل هو غمده وقيل هو وعاء يوضع فيه السيف بغمده وقيل غير ذلك (٣) تقمص روحه قمص البعوض أى لبسها . والقمص جمع قميص . المستخس الخسيس . الاهاب الجلد الذى لم يدبغ (٤) يجزيك يقضيه لك ويثيبك عليه . الردى الهلاك . الوفاء ضد الغدر . الصحاب جمع صاحب (٥) البشير المبشر بالخير . قيم القصر سائس أمره . النبلاء جمع نبيل وهو الذكى النجيب . الحجاب جمع حاجب (٦) أقوام جمع قوم . حشدتهم جمعتهم . الساح جمع ساحة وهى الموضع المتسع أمام الدار ونحوها . الرحاب جمع رحبة وهى الساحة (٧) البنان أطراف الاصابع مفردها بنانة . الترب التراب . أترابه لداته جمع ترب أو هم

مملكة النحل

ألقيت هذه القصيدة فى مجمع علمى بوزارة الزراعة بسطت فيه حياة النحل والدعوة الى تربيته . وكان ذلك فى سنة ١٩٢٣

النحلة — خلقها — نشاطها — مصير الكسالى فى مملكتها — لمن العرش ؟ — حظ المال عندها — حياتها

مملكةٌ مُدبَّرَهْ ... بامرأةٍ مؤمَّرَه

تحملُ في العُمّالِ والصُنّاعِ عبءَ السيطرهْ

فاعجبْ لعمّالٍ يُوَلّونَ عليهم قيصرهْ

تحكمُهُمْ راهبةٌ ... ذكّارةٌ مُغبِّرَهْ (١)

عاقدةٌ زُنّارَها ... عن ساقها مشمِّرَه

تلثّمتْ بالأرجوانِ وارتدتْه مئزرَه

وارتفعتْ كأنها ... شرارةٌ مُطيَّرَه

ووقعتْ لم تختلجْ ... كأنها مُسمَّرَه (٢)

***

مخلوقةٌ ضعيفةٌ ... من خلقٍ مُصوَّرَه

---

(١) التغبير : ترديد الصوت بالقراءة (٢) الاختلاج : الاضطراب

ياما أقلَّ ملكَها وما أجلَّ خطرَه

قفْ سائلِ النحلَ به بأىِّ عَقلٍ دبَّرَه ؟

يُجبكَ بالأخلاقِ وهـ ـىَ كالعقولِ جوهره

تغنى قوى الأخلاقِ ما تغنى القوى المفكِّرَه

ويرفعُ اللهُ بها مَنْ شاءَ حتى الحشَرَه

* * *

أليس فى مَمْلكةِ النَّـ ـنحْلِ لقومٍ تبصرَه ؟

ملكٌ بناهُ أهلُه بهمةٍ ومَجدرَه (١)

لو التمستَ فيه بطَّـ ـالَ اليدين لم تَرَه

تُقتَلُ أو تُنفى الكُسا لَى فيه غيرَ مَنْذرَه

تحكم فيه قيصره فى قومها موقَّره

من الرجالِ وقيو دِ حُكمِهم محرَّرَه

لا تورثُ القومَ ولو كانوا البنينَ البررَه

الملكُ للإناثِ فى الـ ـدستورِ لا للذكَرَه (٢)

نَيِّرةٌ تَنزلُ عن هالتِها لنَيِّرَه

(١) يقال هذا الامر مجدرة ذاك أى جدير به (٢) الذكرة : الذكور

فهل تُرى تخشى الطَّما عَ فى الرجالِ والشَّرَه (١)

فطالما تلاعبُوا بالهمجِ المُصيَّرَه

وعبروا غَفْلَتَها إلى الظهور قنطَرَه

وفى الرّجالِ كرمُ الـ ـضعفِ ولؤمُ المقدُرَه

وفتنةُ الرأى وما وراءَها من أثَرَه

أنثى ولكن فى جنا حيها لَبَاةٌ مُخْدِرَه (٢)

ذائدةٌ عن حوضِها طاردةٌ مَنْ كدَّرَه

تقلَّدَتْ إبرتَها وادّرعتْ بالحَبَرَه

كأنها تُركيَّةٌ قد رابطت بأنقرَه

كأنها (جاندارك) فى كتيبةٍ مُعسكِرَه

تَلقَى المُغيرَ بالجنو دِ الخُشُنِ المنمَّرَه

السابغين شِكَّةً (٣) البالغين جسرَه (٤)

قد نثَرَتهم جُعبةً ونفضتْهم مِئبرَه (٥)

مَنْ يبنِ مُلكًا أو يَذُدْ فبالقنا المجرَّرَه

إنَّ الامورَ هِمةٌ ليس الأمورُ ثرثرَه

(١) الطماع الطمع (٢) اللباة : اللبوة (٣) الشكة : السلاح

(٤) الجسرة : الجسارة (٥) المئبرة بيت الابر

ما الملكُ إلاَّ فى ذرا الـ ... ألويةِ المُنشَّرَهْ

عرينهُ مذ كان لا ... يحميه إلاَّ قَسْوَرهْ (١)

رَبُّ النيوبِ الزُّرْقِ ... والمخالبِ المذكَّرَهْ

* * *

مالكةٌ عاملةٌ ... مُصلحةٌ مُعمِّرَهْ

المالُ فى أتباعها ... لا تَستبينُ أثره

لا يعرفون بينهم ... أصلاً له من ثَمرهْ

لو عَرفوه عرفوا ... من البلاءِ أكثَرهْ

واتخذوا نقابةً ... لأمرهم مسيِّرهْ

سبحانَ مَنْ نَزَّهَ عنـ ... ـهُ ملكَهم وطهَّرَهْ

وساسه بحِرَّةٍ ... عاملةٍ مسخَّرهْ

صاعدةٍ فى معملٍ ... من معملٍ مُنحدِرهْ

واردةٍ دسكرةً ... صادرةٍ عن دسكره (٢)

باكرةٍ تستنهضُ الـ ... ـعصائبَ المبكِّرهْ (٣)

السامعين الطائعيـ ... ـنَ المحسنينَ المَهَرَهْ

---

(٤) القسورة الاسد (٢) الدسكرة القرية (٣) العصائب جمع عصابة

من كلِّ مَنْ خطَّ البنا ... ءَ أو أقامَ أسْطُرَهْ

أو شدَّ أصلَ عقدِهِ ... أو سدَّه أو قوَّرهْ (١)

أو طاف بالماءِ على ... جدرانه المجدَّرهْ (٢)

* * *

وتذهبُ النحلُ خِفا ... فًا وتجىءُ مُوقَرَهْ

جوالبَ الشمعِ من الـ ... ـخمائلِ المنوَّرَهْ

حَوالبَ الماذىِّ (٣) من ... زهرِ الرياضِ الشَّيِّره (٤)

مشدودةٌ جيوبُها ... عَلَى الجَنَى مُزرَّرهْ

وكلُّ خُرْطومٍ أدا ... ةُ العسَلِ المُقطَّرهْ

وكلُّ أنفٍ قانئٍ ... فيه من الشُّهدِ بُرَهْ (٥)

حتى إذا جاءت به ... جاستْ خلالَ الأدورهْ (٦)

وغيَّبتْهُ كالسُّلا ... فِ فى الدِّنانِ المُخْضَرَهْ (٧)

فهل رأيتَ النحلَ عن ... أمانةٍ مقصِّرهْ ؟

ما اقترضتْ من بَقلةٍ ... أو استعارتْ زهرهْ

أدَّتْ الى النَّاسِ به ... سُكَّرةً بسكَّرهْ

---

(١) قور الشىء قطعه من وسطه خرقا مستديرا (٢) المجدرة اى المشيدة

(٣) الماذى العسل (٤) الشيرة الحسان (٥) البرة الحلقة فى الانف

(٦) الادورة الديار يراد بها الخلايا هنا (٧) السلاف افضل الخمر

توت عنخ آمون

هذه الابيات من قصيدة نظمها الشاعر سنة ١٩٢٣ على أثر العثور على مقبرة هذا الملك المصرى القديم وما حوت من كنوز وتحف

الشمس — حضارة مصر القديمة — سبيل الخلد — قناعة الشباب — هل تختلف الحضارة الحديثة عن اختها القديمة ؟ — معذرة للجدود

قِفى يا أختَ (يُوشَع) خبِّرينا ... أحاديثَ القرونِ الغابرينا[١]

وقُصِّى من مصارِعهم علينا ... ومن دُولاتهم ما تعلمينا[٢]

فمثلك من روَى الأخبار طرًّا ... ومن نسبَ القبائلَ أجمعينا[٣]

نرى لكِ فى السماءِ خضيبَ قرنٍ ... ولا نُحصِى على الأرض الطعينا[٤]

(١) الخطاب للشمس . وقد أشار الى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس . فقد روى أن يوشع قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله تعالى فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم . وقد لمح ابن مطروح الى هذه القصة بقوله :

وما أنس لا أنس المليحة اذ بدت ... دجى فأضاء الافق من كل موضع
فحدثت نفسى أنها الشمس أشرقت ... وانى قد أوتيت آية يوشع

القرون الغابرين ، الاجيال الماضية .

(٢) قصى : حدثى ، ومنه : « نحن نقص عليك أحسن القصص » ، مصارعهم : مهالكهم دولاتهم جمع دولة بضم ففتح وهى الداهية يقال : « جاء الدهر بدولاته » أى بدواهيه .

(٣) طرا جميعاً من دون أن تترك منها شيئاً ، نسب القبائل ، ذكر أنسابهم .

(٤) الخضيب : الملون بالخضاب ، القرن : حاجب الشمس : الطعين المطعون .

مشيتِ على الشباب شُواظَ نارٍ ... ودرتِ على المشيب رحى طحونا[١]

تُعينينَ الموالد والمنــايا ... وتبنينَ الحيــاةَ وتهدمينا[٢]

فيالكِ هِرَّةً أكلتْ بنيها ... وما وَلَدوا وتنتظر الجنينا[٣]

⁂

أأُمَّ المالكينَ بنى (أمونٍ) ... ليهنِكِ أنهم نزعوا (أمونا)[٤]

ولدتِ له (المآمين) الدواهى ... ولم تلدِى له قطّ (الأمينا)[٥]

فكانوا الشُّهْبَ حين الأرضُ ليل ... وحين الناس جدُّ مُضَلَّلينا

مشتْ بمنارهم فى الأرض (روما) ... ومن أنوارهم قبست (أثينا)[٦]

ملوكُ الدهر بالوادى أقامُوا ... عَلَى (وادى الملوك) مُحَجَّبينا[٧]

(١) الشواظ بالضم والكسر : دخان النار (٢) المنايا جمع منية وهى الموت (٣) الهرة . القطة ، ويقال فى المثل « أعق من الهرة » لانها تأكل أولادها . الجنين : الولد مادام فى الرحم

(٤) نزع أباه . أشبهه ، وفيه اشارة الى أم (أمون) واختلف المؤرخون هل كانت أمه زوجة شرعية لابيه أو احدى سراريه وكان من عاداتهم أن لا يتولى الملك الا من كانت أمه زوجة شرعية لابيه الا أن (توت عنخ آمون) تولى الملك بواسطة زواجه بابنة الملك خون آتون (٥) اشارة للخليفتين . الامين والمأمون . وقد اختار المأمون لانه كان أفضل بنى العباس حزماً وعزماً وحلماً وعلماً ورأياً ودهاء وهيبة وشجاعة . أى ولدت له أبناء صاروا ملوكا وكانت صفاتهم فى الملك كالصفات التى عرفناها فى المأمون (٦) روما عاصمة ايطاليا . قبست أخذت . أثينا عاصمة اليونان . وفيه اشارة الى ما أخذته الامم الغابرة عن المصريين من العلوم والحضارة (٧) وادى الملوك هو الى الشاطىء الغربى للنيل بالاقصر على مسير نصف ساعة تقريباً وهو هضاب صلبة بها مقابر الملوك فراعنة مصر من الاسرة الثامنة عشرة وما بعدها وقد كانوا يبالغون فى العناية بها واتقانها الى حد يفوق الوصف

فربَّ مصفَّدٍ منهم وكانت تُساقُ له الملوكُ مُصَفَّدينا[١]

تَقَيَّـدَ فى الترابِ بغير قيْدٍ وحلَّ على جوانبه رهينا

تعالى الله كان السحر فيهم أليسوا للحجارةِ مُنْطِقينا ؟[٢]

غَدَوْا يبنون ما يَبْقى وراحوا وراء الآبداتِ مُخَـلَّدينا

إذا عَمدوا لمأثرةٍ أعدُّوا لها الإتقانَ والخلق المتينا

وليس الخلدُ مرتبةً تُلَقَّى وتُؤْخذ من شفاه الجاهلينا

ولكن مُنْتَهى هِمَمٍ كبار إذا ذهبتْ مصادِرُها بقينا

وسرُّ العبقريةِ حين يسرى فينتظم الصنـائع والفنونا

وآثارُ الرجال إذا تناهتْ إلى التاريخ خير الحاكمينا

وأخْذُكَ من فم الدنيا ثناء وتركُكَ فى مسامعها طنينا[٣]

فغالِ فى بنيكَ الصيدِ غالى فقد حُبَّ الغُلوُّ إلى بنينا[٤]

---

(١) مصفدين مقيدين ، يصف فراعنة مصر فى مقرهم الاخير . وهو مقام يتساوى فيه الملوك والسوقة (٢) منطقين أى أليسوا هم الذين أنطقوا الحجارة ويريد أنهم أنشأوا من الابنية ما يدل على عظمة شأنهم دلالة النطق على معناه وأشهر هذه الابنيـة الهرمان القائمان بجانب الجيزة وهما من أعجب ما بنى البناة وفيهما دليل على أن المصريين القدماء كانوا أعلم الامم قاطبة بفن العمارة وهندستها وقد توالى الدهر عليهما فلم ينل منهما مر الحوادث وعصف الرياح وهطل السحاب وقد قال أحد الحكماء : « كل شىء يخشى عليه من الدهر إلا الاهرام فان الدهر يخشى عليه منها » (٣) الطنين صوت الذباب والطست والناقوس ونحو ذلك

(٤) الصيد جمع أصيد وهو الرجل يرفع رأسه كبراً وعجباً ولا يلتفت من زهوه يميناً وشمالا . فقد حب بضم الحاء أى فقد حب

شباب قُنَّعٌ لا خير فيهم وبُورِكَ فى الشبابِ الطامحينا[١]

فناجيهم بعرشٍ كان صِنْواً لعرشكِ فى شبيبته سَنِينا[٢]

وكان العزُّ حليَتَـه وكانتْ قوائمُهُ الكتائبَ والسفينا[٣]

وتاج من فرائده (ابنُ سيتى) ومن خرزاته (خوفو) و(مينا)[٤]

علاَ خدًّا به صَعَرٌ وأنفاً ترفَّع فى الحوادثِ أن يدينا[٥]

ولستُ بقائل ظلموا وجاروا على الاجراء أو جلدوا القطينا[٦]

فإنا لم نُوَقَّ النَّقصَ حتى نُطالبَ بالكمال الأوَّلينا[٧]

---

(١) شباب قنع أى قانعون لا يطلبون شيئاً وراء ما بلغوا . الطامحون المتفانون فى طلب المعالى (٢) الصنو الاخ الشقيق والابن . السنين بفتح السين من يكون فى سنك

(٣) الكتائب جمع كتيبة وهى الجيش (٤) ابن سيتى هو رمسيس الثانى المعروف بسوزستريس ويلقب بالاكبر لانه كان أعظم ملوك مصر سلطة وقوة وطالت مدة حكمه وكثرت فيها الآثار المصرية وتزايدت العمارات حتى لا يكاد يوجد بوادى النيل أثر من الآثار القديمة والعمائر المشهورة إلا وعليه اسمه ورسمه وولى الملك صغيراً فى حياة والده . وقد تربى على الشجاعة والحماسة وأراد أبوه أن يعلمه اقتحام الاهوال فأرسله فى جيش الى بلاد الشام وكان عمره عشر سنين فغزاها حتى أدخلها تحت الطاعة وله حروب عظيمة ثم حارب فى جملة فتوح وبخاصة فى آسية الشمالية . وكان فى أيامه بنتاءور الشاعر المصرى وله فيه عدة مدائح يصف بها شجاعته واقدامه . « خوفو » و « مينا » من الملوك الفراعنة الذين بلغت مصر فى عهدهم شوطا بعيداً فى المدنية ومن آثارهما الخالدة الاهرامات

(٥) علا خدا أى ذلك التاج الصعران يميل الرجل بخده عن النظر الى الناس تهاونا وكبراً

(٦) القطين الخدم . أى انه لا يجارى بعض المؤرخين الذين يزعمون أن الملوك الفراعنة كانوا يظلمون الاجراء ويجلدون الخدم ليسخروهم فى انشاء تلك الابنية (٧) لم نوق النقص أى لم نحفظ منه

وما (البستيلُ) إلا بنت أمس وكم أكلَ الحديدُ بها سجينا[1]

ورُبَّة بيعةٍ عَزَّتْ وطالتْ بناها الناسُ أمس مُسخّرينا[2]

مُشيَّدةً لشافى العُمىِ (عيسى) وكم سَمَلَ القسوس بها عيونا[3]

* * *

خليليّ اهبطا الوادى وميلاَ الى غُرف الشُموس الغاربينا[4]

وسيرا فى محاجرِهم رُويداً وطوفا بالمضاجع خاشعينا[5]

وخُصَّا بالعمــار وبالتحايا رفاتَ المجدِ من (توتنخمينا)[6]

---

(١) البستيل : سجن يرجع تاريخ انشائه الى عهـد شارل الخامس ملك فرنسا سنة ١٤٦٩ وفى هـذا السجن ذاق رجالات العلم والفضل فى فرنسا أشد أنواع العذاب أيام الاستبداد فكم هلك فيه فيلسوف عظيم وفنى بين جدرانه المظلمة مصلح كبير . وكم من سياسى جنى عليه عمله لخير بلاده فدخله حياً وفارقه ميتاً وقد كره الفرنسيون (البستيل) واسم (البستيل) وعدوه مستقر الظلم ومعهد العسف والقسوة فلم يكادوا يثورون على حكومتهم حتى كان أول غرضهم (البستيل) فهدموه واقتلعوا أصوله وأخذت فتاة أحجاره فجعلها النسوة عقوداً يتحلين بها فى أمكنة اللآلىء اشارة الى غلبة الامة على الظلم وانتقامها من الظالمين وكان أخذه فى ١٤ يوليو سنة ١٧٨٩ . وقد أقيم اليوم مكان هذا البناء تمثال الحرية ولا يزال الفرنسيون يحتفلون بذكره الى الآن (٢) البيعة بكسر الباء معبد النصارى . مسخرين : أى كلفوا عملهم بلا أجرة (٣) سمل العين فقأها بحديدة محماة وقلعها

(٤) يريد بالشموس الغاربين ملوك الفراعنة وغرفهم مدافنهم (٥) المحاجر ما يحميه الملوك حول منازلهم ومنها محاجر أقيال اليمن وهى احماؤهم أى ما كان يحميه كل واحد منهم

(٦) العمار التحية وهو أيضاً الريحان يزين به مجلس الشراب واستعماله هنا على الاطلاق اذ لا يليق أن يكون مقيدا بتزيين هذا المجلس . التحايا جمع تحية . الرفات كل ما تكسر وبلى

وقبراً كاد من حسنٍ وطيبٍ يضىءُ حجارةً ويضوعُ طينا[1]

يُخال لروعةِ التاريخِ قُدَّت جنادلهُ العلا من (طورسينا)[2]

وكان نزيلُه بالملكِ يدعى فصار يقلب الكنزَ الثمينا[3]

وقُوما هاتفَيْنِ به ولكن كما كان الأوائلُ يهتفونا[4]

فثَم جلالةٌ قرّت ورامت على مرِ القرونِ الأربعينا[5]

جلالُ الملك أيامٌ وتمضى ولا يمضى جلالُ الخالدينا[6]

وقولا للنزيل قدوم سعد وحيا الله مقدمك اليمينا[7]

سلامٌ يوم وارتك المنــايا بواديها ويومَ ظهرتَ فينا[8]

خرجت من القبور خروج عيسى عليكَ جلالةٌ فى العالمينا[9]

يجوب البرقُ باسمكَ كلَّ سهل ويخترقُ البُخارُ به الحزُونا[10]

---

(١) يضوع يتحرك وينتشر أى كادت حجارته تضىء حسنا وكادت تنتشر رائحته الطيبة الزكية (٢) الروعة المسحة من الجمال . الجنادل جمع جندل وهو الحجارة . طورسينا هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى (٣) النزيل الضيف (٤) هاتفين به أى بالملك الذى هو نزيل القبر وليكن هتافكما كما كانوا يهتفون له أيام حياته (٥) فثم . فهناك الجلالة عظم القدر . رامت اقامت . القرون الاربعون هى التى مضت منذ عهد توت عنخ آمون

(٦) أى ان الجلال الصحيح ما خلد به صاحبه فى التاريخ أما جلال الملك فلا بقاء له

(٧) اليمين المبارك وهو من اليمن (٨) وارتك اخفتك (٩) خروج عيسى أى كما خرج عيسى من القبر على رأى النصارى وصاحب الديوان لا يعتقد ذلك وانما ينظر فيه الى رأيهم (١٠) يجوب يقطع . البرق اسم منقول من معناه الاصلى للتلغراف . والبخار اسم منقول كذلك للوابور أو هو من باب تسمية الشىء باسم المؤثر فيه . الحزون جمع حزن وهو ما غلظ من الارض

تعال اليومَ خبِّرنا أكانت … نواكَ سنات نومٍ أم سنينا ؟[١]

وماذا جبتَ من ظلمات ليلٍ … بعيدِ الصبح ينضى المُدلجينا ؟[٢]

وهل تبقى النفوسُ إذا أقامت … هيا كلُها وتبلى إن بَلينا ؟

وما تلك القبابُ وأين كانت … وكيف أضلَّ حافرُها القرونا ؟[٣]

ممردةَ البنـاء تخالُ برجا … ببطن الأرض محطوطاً دفينا[٤]

تَغطى بالأثاث فكان قصراً … وبالصُوَرِ العِتاق فكان زونا[٥]

حملتَ العرشَ فيه فهل ترجّى … وتأملُ دولة فى الغابرينا ؟[٦]

وهل تَلقَى المهيمنَ فوق عرشٍ … ويلقاه المـلا مُترَجلينا ؟[٧]

وما بالُ الطعام يكاد يقدى … كما تركته أيدى الصانعينا ؟[٨]

ولم تكُ أمس تصبرُ عنه يوما … فكيف صبرتَ أحقاباً مئينا[٩]

---

(١) تعال اليوم الخ الخطاب لتوت عنخ آمون ، نواك بعدك . السنات جمع سنة بكسر السين وهى النعاس (٢) ينضى يهزل . المدلجون الذى يسيرون من أول الليل

(٣) وما تلك القباب الخ أى وخبرنا ما تلك القباب جمع قبة وهى ما ظهر من أبنية المقبرة الفخمة والقرون جمع قرن وهو مائة عام (٤) ممردة البناء مملسته (٥) تغطى أى هذا البناء تغطى الخ والأثاث متاع البيت ، الصور جمع صورة يريد بها الرسوم التى تحاكى صور الاشياء . العتاق جمع عتيق وهو القديم من كل شىء وهو النجيب من الخيل والجارح من الطير ، الزون الموضع تجمع فيه الاصنام (٦) فى الغابرين فى الباقين وفى القرآن الكريم : « فانجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين » ويكون أيضاً بمعنى الماضين فهو من الكلمات التى تستعمل للاضداد (٧) المهيمن من أسماء الله تعالى . المترجلون الذين ينزلون عن ركائبهم ويمشون على أرجلهم (٨) ما بال الطعام ما حاله . يقدى من قدى الطعام أى طاب طعمه ورائحته

(٩) الاحقاب جمع حقب بضم القاف وهو الدهر ، المئين جمع مائة

لقد كان الذى حذر الأوالى … وخاف بنو زمانك أن يكونا[١]

يحب المرءُ نبش أخيه حياً … وينبشه ولو فى الهالكينا

سُلِلتَ من الحفائر قبل يومٍ … يَسلُّ من التراب الهامدينا[٢]

فان تكُ عند بعثٍ فيه شكٌّ … فان وراءه البعثَ اليقينا[٣]

ولو لم يعصموكَ لكان خيراً … كفى بالموت معتصماً حصينا[٤]

يُضَرُّ أخو الحياةِ وليس شىءٌ … بضائره إذا صحبَ المنونا

---

(١) لقد كان أى لقد حصل الذى حذر الاوالى والاوالى جمع أول والمعنى ان ما كنتم تخافونه وتحذرون وقوعه من نبش قبوركم قد حصل ولم تمنعه مبالغتكم فى الوقاية منه

(٢) سللت أخرجت منها برفق ، الحفائر جمع حفيرة وهى الحفرة ، واليوم الذى يسل الهامدين من التراب هو يوم القيامة (٣) فان تك عند بعث الخ أى فان تكن الان تشك فى هذا البعث الذى خرجت به من قبرك فلا محالة سيأتى البعث الذى لا تشك فيه وهو بعث القيامة

(٤) يعصموك يمنعوك من المكروه . أى لو أنهم تركوك فلم يتخذوا لك هذه العصمة لما أصابك مكروه لان الموت يمنع الاذى أن يصل اليك ، وجلاء هذا المعنى فى البيت الثانى

مصر تجدد مجدها

ألقيت هذه القصيدة فى محفل نسائى بمسرح حديقة الازبكية سنة ١٩٢٠

المرأة فى صدر الاسلام — النهضة النسوية — أسواق البر — أثر النساء فى سياسة البلاد

قم حىِّ هـذى النيراتِ   حَىِّ الحسانَ الخـيِّراتِ
واخفضْ جبينَك هيبـةً   للخُـرَّدِ المتخفراتِ (١)
زيْنَ المقاصرِ والحجا   لِ وزيْنَ محرابِ الصلاة (٢)
هذا مَقـامُ الامّهَا   تِ، فهل قدرتَ الأمهات؟
لا تلغُ فيـه ولا تَقُـلْ   غيرَ الفواصلِ محكماتِ (٤)
وإذا خطبتَ فلا تكن   خطبًا عَلَى مِصرَ الفتاةِ
أذكرْ لها اليابانَ لا   أمَ الهوى المتهتكاتِ
ماذا لقيتَ من الحَضا   رة يا أُخَىَّ الترّهاتِ (٤)

(١) الخرد العذارى . المتخفرات المستحييات   (٢) الزين ضد الشين . المقاصر جمع مقصورة وهى اما الدار الواسعة المحصنة أو الحجرة من حجر الدار . الحجال جمع حجل وهو الخلخال   (٣) لا تلغ لا تقل باطلا عن غير روية وفكر . الفواصل جمع فاصلة وهى من السجع بمنزلة القافية من الشعر   (٤) الترهات الطرق الصغار تتشعب عن الجادة واحدتها ترهة ثم استعيرت للباطل

لم تلقَ غيرَ الرق من   عُسرٍ عَلَى الشرقى عات
خُذْ بالكتاب وبالحديـ   ـثِ وسيرةِ السّلَفِ الثِّقاتِ (١)
وارجع إلى سُنَنِ الخليـقةِ   واتّبِـعْ نظُمَ الحياةِ
هـذا رسولُ الله لم   يَنْقُصْ حُقُوقَ المؤمنات
العلمُ كان شريعـةً   لنسـائه المُتَفَقِّهاتِ (٢)
رُضْنَ التجارة والسيا   سةَ والشؤونَ الأُخرياتِ (٣)
ولقـد علمتَ بنـاته   لُجَجَ العلوم الزاخرات
كانت سكينةُ تملأ الـدنيا   وتهزأُ بالرواة (٤)
روت الحـديثَ وفسرتْ   آىَ الكتاب البينات
وحضارةُ الإسـلام تنـطِقُ   عن مكان المسلمات
بغـدادُ دار العالما   تِ ومنزلُ المتأدبات (٥)
ودِمشقُ تحت أميـةٍ   أمّ الجوارى النابغاتِ (٦)
ورياضُ أندلسٍ نَمَيْـنَ   الهاتفاتِ الشاعرات (٧)

(١) الثقات جمع ثقة والثقة الموثوق به ويوصف به المفرد وغير المفرد والمذكر والمؤنث
(٢) المتفقهات من تفقه أى تعلم الفقه وتعاطاه والفقه هو علم الدين أو من تفقه فى العلم اذا تعلمه
(٣) رضن من راض الشىء ذلله وجعله مطيعاً   (٤) سكينة هى بنت الحسين بن الامام على وحفيدة الرسول صلى الله عليه وسلم   (٥) بغداد مقر ملك العباسيين بالعراق . المتأدبات المتعلمات الادب   (٦) دمشق مقر ملك الامويين فى الشام. الجوارى جمع جارية وهى الفتاة
(٧) أندلس بلاد فى غرب أوربا هى الان مملكة اسبانيا أو بعضها وكانت قديما مقر ملك اسلامى عظيم واول من دخلها ونقل اليها حضارة الاسلام وانشأها ذلك الملك هو عبد الرحمن الظافر الاموى المسمى صقر قريش . نمين الهاتفات من قولهم نمته عشيرته أى رفعته بالانتساب اليها

أدعُ الرجالَ لينظرُوا كيف اتحادُ الغانيات

والنَّفعَ كيف أخَذْنَ فى أسبابه متعـاونات

لمـا رأيْنَ ندى الرِّجَا لِ تفاخرًا أو حُبَّ ذات[1]

ورأينَ عِنْدَهمُو الصنا ئعَ والفنونَ مُضيَّعَاتِ

والبر عنـدَ الأغنيا ءِ من الشؤون المُهْمَلاتِ

أقبلن يَبْنِينَ المآ ثِرَ للنجـاح مُوَفَّقَاتِ

***

للصالحات عقـائلِ الـوَادِى هوًى فى الصالحات[2]

الله أنبتهنَّ فى طاعاته خيرَ النَّبـاتِ

فأتين أطيبَ ما أتى زَهَرُ المناقِبِ والصفاتِ[3]

لم يكفِ أنْ أحْسَنَّ حتى زِدْنَ حضَّ المحسنات[4]

يمشينَ فى سُوقِ الثَّوا بِ مُسَاوِمَاتٍ رَابِحات

يَلبَسْنَ ذُلَّ السائلا تِ وما ذَكَرْنَ البائسات[5]

فوجوهُهُنَّ وماؤها سِتْرٌ عَلَى المُتجمِّلاتِ[6]

(١) الندى الجود (٢) الصالحات ذوات الصلاح من النساء . العقائل جمع عقيلة وهى الكريمة المخدرة . الصالحات فى آخر البيت صفة لمحذوف أى الافعال الصالحات
(٣) المناقب المفاخر (٤) الحض من حضه على الامر حمله عليه (٥) البائسات الشديدات الحاجة (٦) المتجملات من تجمل الفقيرات اللاتى لم يظهرهن ذل الفقر

مصرٌ تُجدِّدُ مَجْدَها بنسائِها المُتَجدِّدَاتِ

النافراتِ مِنَ الجُمو دِ كأنه شَبَحُ المَمَات[1]

هل بينهنَّ جوامدًا فَرْقٌ وبينَ المُومياتِ[2]

لما حَضَنَّ لنا القضيـةَ كُنَّ خيرَ الحاضِنَاتِ[3]

غذَّيْنَها فى مَهْـدِها بلِبَانِهِنَّ الطاهرات

وسَبَقْنَ فيها المُعْلَمِيـنَ إلى الكريهة مُعْلَمَات[4]

يَنْفُثْنَ فى الفِتْيَانِ من رُوحِ الشجاعة والثَّباتِ[5]

يَهْوَيْنَ تقبيلَ المُهَنَّـدِ أو مُعَانَقَةَ القَنـاة

ويَرَيْنَ حتى فى الكَرَى قُبَلَ الرِّجَالِ مُحَرَّمات

(١) الجمود التيبس (٢) الموميات واحدتها موميا وهى يونانية معناها حافظ الاجسام وتطلق اليوم على الاجسام المحنطة (٣) القضية هى قضية استقلال وادى النيل
(٤) المعلمون الفرسان لهم علامة فى الحرب لبطولتهم (٥) ينفثن من قولهم نفث الله الشىء فى القلب ألقاه (٦) المهند السيف . القناة الرمح

على سفح الاهرام

هذه الأبيات مطلع قصيدة طويلة استقبل فيها الشاعر ضيفاً من ضيوف مصر
فى حفل على سفح الاهرام نظمت فى سنة ١٩٢٣

بين الماضى والحاضر — مناجاة

قِفْ ناجِ أهرامَ الجلالِ ونادِ ... هل من بُناتكِ مجلسٌ أو نادِ ؟(١)

نشكو ونَفزعُ فيه بين عيونهم ... إن الأبوّةَ مفزعُ الأولادِ(٢)

ونبثهم عبثَ الهوى بتُراثهم ... من كل ملقٍ للهوى بقيادِ(٣)

ونُبينُ كيف تفرقَ الإخوانُ فى ... وقتِ البلاءِ تفرقَ الأضدادِ(٤)

إن المغالِطَ فى الحقيقةِ نفسَه ... باغٍ على النفسِ الضعيفةِ عادِ !(٥)

***

(١) ناج من المناجاة وهى المسارة . الجلال التناهى فى عظم القدر . البناة جمع بانٍ . المجلس مكان الجلوس والنادى اسم للمجلس حين يجتمع فيه القوم ليتحدثوا فاذا تفرقوا فليس ناديا

(٢) نشكو نعلن الشكوى ونفزع نستغيث وضمير فيه للمجلس او النادى . بين عيونهم اى امامهم . الابوة كون الرجل ابا (٣) نبثهم نكاشفهم . العبث اللعب . الهوى ارادة النفس وهو غالب فى الشر . القياد فى الاصل حبل يقاد به (٤) نبين مضارع ابان الشىء اوضحه . البلاء الغم يبلى الجسم (٥) المغالط نفسه موقعها فى الغلط . باغ ظالم وعاد ظالم ايضاً

قل للأعاجيبِ الثلاثِ مقالةً ... من هاتفٍ بمكانهنّ وشادِ(١)

لله أنتِ فما رأيتُ على الصّفا ... هذا الجلالَ ولا على الأوتادِ(٢)

لكِ كالمعابدِ روعةٌ قدسيةٌ ... وعليكِ روحانيةُ العُبّادِ(٣)

أُسّستِ من أحلامِهم بقواعدٍ ... ورُفعتِ من أخلاقِهم بعمادِ(٤)

(١) الاعاجيب الثلاث يريد بها الاهرام الثلاثة وانما كانت اعاجيب لان الانسان يستعظمها فتعتريه روعة عند ذلك وهذا هو العجب والمفرد اعجوبة وهى اسم لما يكون العجب منه . هاتف مادح من هتف به مدحه . شاد من شدا الشعر غنى به وترنم

(٢) الصفا جمع صفاة وهى الحجر الصلد الضخم الذى لا ينبت . الاوتاد الجبال .

(٣) الروعة الفزعة والمسحة من الجمال . العباد جمع عابد (٤) الاحلام العقول جمع حلم . عماد الشىء ما يسند به . والخطاب فى هذا البيت والبيتين قبله للاعاجيب الثلاث

محمد على باشا الكبير

نظمت هذه القصيدة حوالى سنة ١٩١٢ على أن تكون قطعة من رواية تمثيلية
كان مزمعاً أن تمثل اذ ذاك ذكرى لبطولة هذا العصامى العظيم

عظمة محمد على — أخلاقه — دفاع عن سياسته — تحية مرفوعة لابنائه

عَلَمٌ أنتَ فى المشارقِ مفردْ لكَ فى العالمينَ ذِكرٌ مُخلَّدْ (١)

حبذا دُولةٌ وملكٌ كبيرٌ أنتَ بانى رُكنَيهما يا محمد

ولواءٌ فى البرِّ والبحر يُعطى مَظهرَ الشمسِ فى الوجود وأزيد

تُدخلُ الأرضَ فيه قطراً فقُطراً مُدخَلَ الناسِ فى شريعةِ أحمد

تملأُ الأرضَ صافناتٍ وتُجرى لكَ فى البحر كلَّ بُرجٍ مُشيَّد (٢)

هكذا فلينلْ سماءَ المعالى من سعَى فى الورَى لمجدٍ وسؤدد

همةٌ تبتنِى الممالكَ شماءُ ، ورأىٌ يسوسُهن مُسدَّد (٣)

وثباتٌ فى الحادثاتِ وعزمٌ مثلُ ريبِ الزمانِ لا يتردد

تضعُ السيفَ موضعاً يرتضيه ومنَ البأسِ ما يُذمُّ ويحمد

وتصونُ النَّوالَ عن حسنِ صُنعٍ لكَ يُنسى ونعمةٍ لك تجحد (٤)

(١) العلم سيد القوم . المخلد الدائم الباقى (٢) الصافنات الخيل تقوم على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة . البرج الحصن والمراد سفينة الحرب (٣) الشماء العالية وهى وصف الهمة ، المسدد المقوم (٤) النوال العطاء

لا تُبالى بحاسدٍ وعدوٍّ آيةُ الفضلِ أن تعادَى وتحسد

همةُ الفاتحين حكمٌ وقهرٌ ولكَ الهمةُ التى هىَ أبعد

ليس من يفتحُ البلادَ لتشقى مثلَ من يفتحُ البلادَ لتسعد

علمت مصرُ والحجازُ وأرضُ النوبِ والشامُ أنْ عهدكَ عسجد (١)

أنت إن أُحصىَ النوابغُ فى الملكِ كريمُ الثنا على الدهر أوحد

أيدتهم قرابةٌ وقبيلٌ ورأى اللهَ وحدَه لك أيَّد

فتولاكَ والليالى حُبالى وتولاكَ والحوادثُ تولد

ورمَى عنكَ والملوكُ رماة نصفُهم واجدون (٢) والنصفُ حُسَّد

ركنَ مصرَ أقمت بعد انقضاضٍ أمةٌ جُمِّعت وأمرٌ توحد

* * *

يا مُديمَ الرقادِ فى خير مَرقد قُم فما حلَّ قبلكَ الأرضَ فرقد (٣)

وانظر الشرقَ كيف أصبح يهوِى وانظر الغربَ كيف أصبح يَصعد

وتأملْ ممالكاً وبلاداً لمسَ الدهرُ عِقدَها فتبدد

كنتَ تحميه والسيوفُ عوارٍ من له اليوم بالحسام المجرَّد ؟ (٤)

(١) العسجد الذهب وقيل الجوهر كله كالدر والياقوت (٢) واجدون غاضبون
(٣) الفرقد نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به (٤) يريد بالحسام المجرد صاحبه او يريد أن محمد على هو ذلك الحسام الذى يتمناه لحماية الشرق من جديد

ينشرُ النورَ والحضارةَ فيه ... كلما زُوِّدَ الشعوبُ تزود

وترى الأمرَ بين قلبٍ ذكىَ ... فى يديه وبين جفن مُسهَّد

يا عصامَ الملوكِ هل كنتَ تسلو ... عن عروش الملوك أو كنتَ تزهد[1]

صغَّر الجاهلون بالنفس مسعا ... كَ وعذرُ النفوسِ فيه ممهَّد

ما سمعنا بفاتحٍ سلّ سيفاً ... يأخذُ الملكَ حدُّه ثم أغمد

حالة سامها (الأمينَ) أخوه ... وأمورٌ بها (أميةُ) تشهد[2]

ثبتَ فى فتنةِ الحجاز اليهم ... حين أخمدتَها ولم تك تُخمَد[3]

وأتاهم بعُذره لك بيتٌ ... كلما جندوا الى الحربِ جنَّد[4]

يحفظ الملكَ ملكَ مصر عليهم ... جوهراً فوق تاجهم يتوقد

زعموا الشرقَ من فِعالك قلقاً ... وأرى الشرقَ فى يمينك أقعد[5]

جئته بالحياةِ والنور والتمـ ... ـدين والرأى والقنـا والمهنّد

كان بين الورى بركنٍ فعززْ ... تَ بثانٍ والركنُ بالركنِ يشتد[6]

---

(١) عصام مضرب المثل فى علو الفرد بنفسه لا بنسبه (٢) سامه الشىء اراده عليه. الامين الخليفة العباسى ابن هرون الرشيد وأخوه هو المأمون صاحب الخلافة بعده وكانت بينهما حرب على الخلافة فما زال المأمون يلح على أخيه بالحرب حتى ظفر بها. وأمية جد الامويين الذين قاتلوا العلويين على الملك حتى نالوه (٣) ثبت أى رجعت. فتنة الحجاز هى الحرب التى اثارها الوهابيون على الدولة التركية فى الحجاز فلم يهزمهم فيها الاجيش مصرى ارسله محمد على وجعله تحت قيادة ابنه ابراهيم (٤) يريد ان هذا البيت الذى طالما نصر الاتراك اتاهم بعذره حينما انقلب عليهم (٥) أقعد أى امكن واثبت (٦) عززت بثان اى عززته

***

شرفاً فى الزمانِ آلَ علىٍّ ... جدُّكم سيدُ الملوكِ المسود

ارجعوا فى العُلا اليه ورُوموا ... نهجَهُ، نهجَهُ الذى كان أقصد[1]

ألبسُوه كما كساكم فخاراً ... كلما رثّت الثيابُ تجدد

واملئوا مسمعَ الزمانِ حديثاً ... كدوىّ الخِضم أرغى وأزبد[2]

إنَّما الناسُ أمةٌ لا يموتو ... ن وأخرى تمر مرًّا وتنفد

وأرى جدَّكم علَى الدهر حياً ... خالدَ الذكر والثناء المردّد

كلما مرّ من مساعيه قرن ... مرّ يزهو بعقدهن المنضّد[3]

مُشرقاً من ثنائه مُستضيئاً ... من بنيه بكل أبلجَ أصيد[4]

يتحداه فى فخارٍ ويسرى ... فى منارٍ على طريقٍ معبّد[5]

---

(١) النهج الطريق. اقصد اقوم (٢) الخضم البحر (٣) القرن من الزمان مائة سنة. المنضد المنسق بعضه الى بعض (٤) الابلج المشرق المنير (٥) طريق معبد مذلل

الانقلاب العثمانى

نظمت هذه القصيدة يوم سقوط السلطان عبد الحميد الثانى عن عرش الدولة العثمانية ، وتولية خلفه السلطان محمد رشاد الخامس على أثر المطالبة بالدستور

دمعة على يلدز — سيئات العهد الماضى — التفاؤل للعهد الجديد — معذرة وعتب على السلطان المخلوع — تحية المؤمنين للخليفة الجديد

سَلْ «يلدِزاً» ذاتَ القصورِ ... هل جاءها نبأُ البدورِ ؟ [1]

لو تستطيعُ إجابةً ... لبكتكَ بالدمعِ الغزيرِ

أخنى عليهـا ما أنا ... خَ علَى الخورْنقِ والسديرِ [2]

ودها الجزيرةَ بعد إسماعيـ ... ـلَ والملِكِ الكبيرِ [3]

ذهبَ الجميعُ فلا القصو ... رُ تُرى ولا أهلُ القصورِ

فلكٌ يدورُ سعودُهُ ... ونحوسُهُ بيـدِ المديرِ

أينَ الأوانسُ فى ذُرا ... ها من ملائكةٍ وحورِ [4]

(١) يلدز فى لغة الترك اسم نجم وقد سمى به قصر عظيم فى الاستانة كان يسكنه السلطان عبد الحميد أيام ملكه والمخاطب بقوله « سل الخ » هو هذا السلطان (٢) أخنى عليه الدهر أتى عليه وأهلكه . الخورنق قصر كان فى الحيرة بالعراق للملك النعمان الاكبر أحد ملوك بنى المنذر والسدير قصر كان بالحيرة أيضاً للمناذرة (٣) دهاه الامر أصابه . الجزيرة هى جزيرة الروضة فى النيل شرقى القاهرة وكان بها قصر عظيم من قصور الخديو اسماعيل وهو المراد (٤) الاوانس جمع آنسة وهى الطيبة النفس . الحور جمع حورية وهى المرأة البيضاء الناعمة

المترَعاتُ من النعيـ ... ـمِ الرواياتُ من السرورِ [1]

العـاثراتُ من الدلا ... لِ الناهضاتُ من الغُرورِ

الآمراتُ على الولا ... ةِ الناهياتُ على الصُدورِ [2]

الناعمـاتُ الطيباتُ ... العَرفِ أمثالُ الزهورِ [3]

الذاهـلاتُ عن الزما ... نِ بنشوةِ العيشِ النضيرِ

المشرفاتُ وما انتقلـ ... ـنَ على الممالكِ والبحورِ

من كل بلقيسٍ على ... كرسيِّ عزتِهـا الوثيرِ [4]

أمضى نفوذاً من زبيـ ... ـدةَ فى الإمارةِ والأميرِ [5]

بينَ الرفارفِ والمشا ... رفِ والزخارفِ والحريرِ [6]

والروضِ فى حجم الدُنا ... والبحرِ فى حجمِ الغديرِ

والدرِّ مؤتلقِ السنَا ... والمسكِ فياحِ العبيـرِ

فى مسكنٍ فوقَ السما ... كِ وفوقَ غاراتِ المغيرِ [7]

بينَ المعـاقلِ والقَنا ... والخيـلِ والجمِّ الغفيرِ

(١) المترعات جمع مترعة من أترع الاناء ملأه (٢) الولاة جمع وال . الصدور جمع صدر ويقال له الصدر الاعظم وهو كبير وزراء السلطان فى الدولة التركية (٣) العرف الرائحة الطيبة (٤) بلقيس ملكة سبأ من أرض اليمن وقصتها مع الملك سليمان مبسوطة فى كتب التاريخ الدينى . الوثير اللين الموطأ (٥) زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد (٦) الرفارف جمع رفرف وهو الفراش . المشارف جمع مشرف وهو الموضع يشرف منه ومشارف الارض أعاليها (٧) السماك كوكب

سمّوه يلدزَ والأفو لُ نهايةُ النجمِ المُنيرِ

☆☆☆

دارت عليهنّ الدوا ئرُ فى المَخادعِ والخدور[١]

أمسيْن فى رِقّ القَبيــلِ وبِتْنَ فى أَسرِ العَشير[٢]

ما ينتهين من الصلا ةِ ضراعةً ومن النذور

يطلبْن نُصرةَ ربِّهــنّ وربُّهن بلا نَصير[٣]

صبغ السوادُ حبيرَهــنّ وكان من يَقَقِ الحُبور[٤]

أنا إن عجزتُ فإن فى بُردَىَّ أشعرَ من (جرير)

خَطْبُ الإمامِ عَلَى النظيـمِ يَعِزُّ شرحًا والنثير

عظةُ الملوك وعبرةُ الـ أيام فى الزمنِ الأخير

شيخُ الملوكِ وإن تضعـضع فى الفؤادِ وفى الضمير

نستغفرُ المولى له والله يَعفو عن كثير

ونَراه عنــد مصابه أولى بِباكٍ أو عَذِير

ونصونُه ونُجِلــه بين الشماتةِ والنّكير

---

(١) الدوائر جمع دائرة وهى النائبة من صروف الدهر . المَخادع جمع مخدع بضم الميم وكسرها بيت يكون فى البيت الكبير يحرز فيه الشىء (٢) القبيل : المراد به الامة (٣) ربهن سيدهن وهو السلطان عبد الحميد (٤) الحبير الناعم الجديد . اليقق الشديد البياض

عبدَ الحميد حسابُ مثــلك فى يدِ الملكِ الغفورِ

سُدتَ الثلاثينَ الطوا لَ ولسْنَ بالحُكمِ القصير[١]

تنهى وتأمرُ ما بدا لكَ فى الكبيرِ وفى الصغير

لا تَستشيرُ وفى الحِمى عددُ الكواكبِ من مُشير

كم سبَّحوا لكَ فى الروا حِ وألّهوكَ لدى البُكور

ورأيتَهم لكَ سُجَّداً كسجود موسى فى الحضور[٢]

خفضوا الرءوسَ ووتَّروا بالذل أقواسَ الظُّهور[٣]

ماذا دهاكَ من الأمو رِ وكنتَ داهيةَ الأمور ؟

ما كنتَ إن حدثَتْ وجلَّـ تْ بالجَزوعِ ولا العَثُور

أين الرويةُ والانا ةُ وحكمةُ الشيخِ الخبير ؟

إنّ القضاءَ إذا رمى دكَّ القواعدَ من (ثَبير)[٤]

دخــلوا السريرَ عليــكَ يحتكمون فى ربِّ السرير[٥]

أعظِمْ بهم من آسريــنَ وبالخليفةِ من أَسير !

---

(١) الثلاثين الطوال الاعوام التى مضت له وهو سلطان (٢) كسجود موسى فى الحضور أى فى حضوره حين تجلى له الله فكلمه (٣) وتروا بالذل أقواس الظهور أى جعلوا الذل وتراً لاقواس ظهورهم يعنى أن الذل قوس ظهورهم كما يفعل الوتر بالقوس اذا شد عليها (٤) ثبير جبل معروف (٥) يحتكمون فى رب السرير يتصرفون فيه وفق مشيئتهم

أسدٌ هصورٌ أنشبَ الـأظفارَ فى أسدٍ هصورِ [1]
قالوا اعْتَزِلْ — قلتَ اعتزلـتُ — الحكمُ لله القدير
صبروا لدولتكَ السنيـ ـنَ وما صبرتَ سوى شهور
أوذيتَ من دُستورهم وحننتَ للحُكم العسير
وغضبتَ كالمنصور أو هارون فى خالى العصور [2]
ضنُّوا بضائع حقهم وضَنَنْتَ بالدنيا الغَرور
هلا احتفظتَ به احتفا ظَ مُرحِّبٍ فرحٍ قَرير
هو حليةُ المَلكِ الرشيـدِ وعصمةٌ الملكِ الغرير
وبه يُبارَكُ فى المما لكِ والملوكِ على الدهور

⁂

يا أيها الجيشُ الذى لا بالدعىّ ولا الفَخُور
يخفى فان رِيعَ الحمى لفتَ البريةَ بالظُهور [3]
كالليثِ يسرفُ فى الفِعا لِ وليس يُسرف فى الزئير [4]
الخاطبُ العلياءَ بالـأرواحِ غاليـةِ المهور
عنـد المُهيمن ما جَرى فى الحقِّ من دمكَ الطَهور

(١) أنشب أظفاره فى الشىء أعلقها فيه (٢) أبو جعفر المنصور وهارون الرشيد من الخلفاء العباسيين (٣) ريع الحمى أى راعه شىء وأفزعه (٤) الزئير صوت الاسد

يتـلو الزمانُ صحيفةً غرًّا مُذهَّبَةَ السُّطورِ
فى مدح (أنورك) الجرى ءِ وفى (نيازيك) الجسور
يا (شوكت) الإسلام بل يا فاتحَ البلد العسير [1]
وابنَ الأكارم من بنى (عمر) الكريم على (البشير) [2]
القابضين على الصليـل بجدهم وعلى الصرير [3]
هل كان جدُّكَ فى ردا ئك يوم زحفك والكرور
فقنصت صيادَ الأسو دِ وصدتَ قناصَ النسور
وأخـذت (يلدز) عَنوةً وملكتَ عنقاءَ الثغور [4]

⁂

المؤمنون (بمصر) يُهـدون السلامَ إلى الأمير
ويُبـايعُونك يا (محمـدُ) فى الضمائر والصدور [5]

(١) أنور ونيازى وشوكت كانوا من كبار القواد فى الجيش العثمانى وكانوا على رأس الحركة التى قام بها هذا الجيش لحمل السلطان عبد الحميد على اعادة الدستور وجعله أساس الحكم فى البلاد التركية (٢) عمر هو الخليفة عمر بن الخطاب كان شوكت باشا من سلالته . البشير من أسماء النبي محمد صلى الله عليه وسلم (٣) الصليل الصوت يسمع عند المقارعة بالسيوف . الصرير صوت القلم عند الكتابة (٤) أخذ الشىء عنوة أى قهراً . العنقاء طائر معروف الاسم مجهول الجسم يضرب مثلا لكل عزيز ممتنع والمراد أنه ملك ثغر الاستانة الذى يشبه العنقاء فى عزته وامتناعه (٥) محمد هو السلطان محمد رشاد الخامس الخليفة بعد السلطان عبد الحميد

قد أمّلوا لهلالهم ... حظَّ الأهلّةِ فى المسيرِ

فابلغْ به أوْجَ الكما ... ل بقوةِ اللهِ النصيرِ

أنت الكبيرُ يقلّدو ... نك سيفَ (عثمانَ) الكبيرِ

شيخُ الغزاةِ الفاتحِ ... ينَ حسامُهُ شيخُ الذكورِ (١)

يمضى ويغمد بالهدى ... فكأنه سيف النذيرِ (٢)

بشرى الإمام محمدٍ ... بخلافة الله القديرِ

بشرى الخلافة بالإما ... م العادلِ النزهِ الجديرِ

الباعثِ الدستور فى الـ ... إسلام من حُفر القبورِ

أوْدَى « معاويةٌ » به ... وبعثتَه قبل النشورِ (٣)

فعلى الخلافة منكما ... نورٌ تلألأ فوقَ نورِ (٤)

(١) الذكور جمع ذكر وهو السيف (٢) النذير من أسماء النبي (٣) أودى به ذهب به وأضاعه معاوية بن أبي سفيان أول ملوك الدولة الاموية وقد كان حكم الخلفاء الراشدين قبله شورى بين المسلمين وهى معنى حكم الدستور فلما أخذ معاوية الملك استقل فيه برأيه (٤) منكما أى من الخليفة ومن الدستور

طوكيو

نظمت هذه القصيدة يوم نكبت اليابان بالزلزال الهائل الذى أصابها فى سنة ١٩٢٥ . فذهب منها بغير قليل من الضحايا والأموال والأرواح

فعل الزلزال — خيانة الأيام — ثوران الطبيعة — الارض تنتقم من آثام البشر

قِفْ (بطوكيو) وطُف على (يوكاهامه) ... وسَلِ القريتَيْنِ كيف القيامه

دنت الساعةُ التى أُنْذِرَ النا ... سُ وحلّت أشراطُها (١) والعلامه

قِفْ تأمّلْ مَصارعَ القوم وانْظُرْ ... هل ترى من ديار عادٍ دِعامه

خُسفت بالمساكن الأرض خسفاً ... وطوى أهلَها بِساطَ الإقامه (٢)

طوّفَت بالمدينتَين المنايا ... وأدارَ الردى على القوم جامَه (٣)

لا ترى العينُ منهما أين جالت ... غيرَ نِقضٍ (٤) أو رِمّةٍ أو حُطامه (٥)

حازَهم من مراجل (٦) الأرض قبرٌ ... فى مدى الظن عمقُهُ ألفُ قامه

تحسبُ الميتَ فى نواحيه يُعيي ... نفخةَ الصورِ أن تلمَّ عِظامه

(١) الاشراط : المفرد شرط : العلامة (٢) أى ارتحلوا (٣) الجامة الكأس (٤) النقض : اسم البناء المنقوض (٥) الحطامة : ما تحطم من الشيء المحطوم أى ما تكسر منه (٦) مراجل : جمع مرجل وهو القدر من الحجارة والنحاس

أصبحوا فى ذرا الحياة وأمسَوا   ذهبت ريحُهم وشالوا نعامه(١)

ثِقْ بما شئتَ من زمانك إلاّ   صحبةَ العيش أو جِوارَ السلامه

دولةُ الشرق وهى فى ذروة العز   تحار العيون فيها نخامه

خانها الجيشُ وهو فى البر دِرعٌ   والأساطيلُ وهى فى البحر لامه(٢)

لو تأملتها عشيّةَ جاشت   خلتها فى يد القضاء حمامه

رجّها رجّةً أكبّت على قر   نيه (بوذا) وزلزلت أقدامه

استعذنا بالله من ذلك السيـ   ـل الذى يكسحُ البلادَ أمامه

من رأى جامداً يَهُبُّ هبوباً   وحميماً(٣) يَسُحّ سحَّ الغمامه ؟

ودخاناً يَلُفُّ جُنحاً بجنحٍ(٤)   لا ترى فيه مِعصمَيها اليمامه(٥)

وهزيماً كما عوى الذئبُ فى كل   مكانٍ وزمجر الضرغامه

* * *

أتت الأرضُ والسماءُ بطوفا   نٍ يُنسّى طوفانَ نوحٍ وعامه

فترى البحرَ جُنَّ حتى أجاز(٦) الـ   ـبر واحتل موجُه أعلامه

مُزبداً ثائرَ اللُّجاج كجيشٍ   قوّضَ العاصفُ الهبوبُ خيامه

---

(١) أى ارتحلوا وتفرقوا   (٢) اللامة : الدرع   (٣) الحميم : الماء الحار

(٤) جنح الليل : طائفة منه   (٥) هى زرقاء اليمامة المشهورة بقوة البصر

(٦) أجاز الموضع : سلكه

فُلْكُ نوحٍ تعوذُ منه بنوحٍ   لو رأته وتستجير زمامه

قد تخيلتهم متابيلَ سحرٍ   من قراع القضاء صَرْعى مُدامه

وتخيلتُ من تخلّف منهم   ظنَّ ليلَ القيام ذاك ، فنامه

أبراكينُ تلك أم نزواتٌ(١)   من جراح قديمة مُلتَامه

تجد الأرضُ راحةً حيث سالت   راحةَ الجسم من وراء الحجامه(٢)

ما لها لا تضجّ مما أقلّت   من فسادٍ وحُمِّلت من ظلامه

كلما لُبِّست بأهل زمانٍ   شهِدت من زمانهم آثامه

استووا بالأذى ضُرّاً وبالشـر   ولوعاً وبالدماء نَهامه

لبّست هذه الحياةُ علينا   عالمَ الشر وحشَه وأنامه

ذاك من مؤنساته الظفرُ والنا   بُ وهذا سلاحُه الصَّمْصامه

سَرّه من أسامةَ البطشُ والفتـ   ـكُ فسمّى وليدَه بأسامه(٣)

لؤمت منهما الطباعُ ولكن   ولدُ العاصيين(٤) شرٌّ لآمه !

---

(١) نزوات : وثبات   (٢) الحجامة : الفصد   (٣) أسامة : الأسد

(٤) العاصيين : آدم وحواء

الطيارون الفرنسيون

نظمت هذه القصيدة بمناسبة قدوم سرب من الطيارين الفرنسيين إلى مصر وقيامهم « بمناورات » عجيبة فى ميدان فسيح بعين شمس

معجزة العلم — « مناورات » الطيران — وصف الطيارة — فى سبيل المجد — طغيان (السين) على (باريس) — خطر الطيران — الشرق النائم

قُمْ (سليمان) بِسَاطُ الريح قاما ... مَلَكَ القومُ من الجوّ الزماما
حين ضاق البرُّ والبحرُ بهم ... أسرجوا الريحَ وساموها[1] اللّجاما
صار ما كان لكم معجزة ... آية للعلم آتاها الأناما
قدرةٌ كنتَ بها منفرداً ... أصبحت حِصّةَ من جَدَّ اعتزاما
(عينُ شمس) قام فيها ماردٌ ... من عفاريتك يُدعى (شَاتِهَاما)
يمـلأ الجوَّ عَزِيفاً كلما ... ضرب الريح بسوطٍ والغماما
ملك الجوَّ تليه عُصبةٌ ... جمعتْ شهماً ونَدْباً[2] وهماما
استَوَوْا فوقَ « مناطيدهم » ... ما يُبالونَ حياةً أم حِماما
وقبوراً فى السموات العُلا ... نزلوا أم حُفَراتٍ ورَغاما[3]

(١) سام : من سام فلانا الامر : كلفه أياه (٢) الندب : الخفيف فى الحاجة الظريف النجيب لانه اذا ندب اليها خف لقضائها (٣) الرغام : التراب

مطمئنين نفوسًا كلما ... عبستْ كارثةٌ زادوا ابتساما
صهوةَ العزّ اعتلوْا تحسبهم ... جمعَ أملاكٍ على الخيل تَسامى
رفعوا « لولبهَا » فاندفعت ... هل رأيتَ الطيرَ قد زَفّ[1] وحاما
شال[2] بالأذناب كلٌّ ورمى ... بجناحيه كما رُعْتَ النَّعاما
ذهبتْ تسمو فكانت أعْقُباً[3] ... فنسوراً فصقوراً فحماما !
تنبرى فى زرَق الأفق كما ... سبحَ الحوتُ بدأماءِ[4] وعاما
بعضُها فى طلب البعض كما ... طارد « النَّسرُ » على الجوّ القُطاما[5]
ويراها عالَمٌ فى زُحَلٍ[6] ... أُرسلتْ من جانب الأرض سهاما
أو نجوماً ذات أذنابٍ بدت ... تُنْذِرُ الناسَ نُشوراً[7] وقياما
أترى القوّة فى جُؤْجُؤِه[8] ... وهو بالجؤجؤ ماضٍ يترامى ؟
أم تراها فى الخوافى[9] خفيتْ ... أم مقر الحول[10] فى بعض القُدامى[11]
أم ذُناباه إذا حرّكه ... يَزِنُ الجسمَ هبوطاً وقياما

(١) زف الطائر : رمى بنفسه أو بسط جناحيه (٢) شالت الناقة بذنبها : رفعته
(٣) أعقبا : جمع عقاب وهو طائر من الجوارح (٤) الدأماء : البحر
(٥) القطاما : الصقر (٦) زحل : كوكب من الخنس سمى به لبعده وتنحيه
(٧) نشوراً : من نشر الله الموتى : أحياهم (٨) الجؤجؤ من الطائر . الصدر
(٩) الخوافى : ريشات اذا ضم الطائر جناحيه خفيت وقيل هى الاربع اللواتى بعد المناكب
(١٠) الحول : القوة والقدرة على التصرف (١١) القدامى جمع قادمة وهى عشر ريشات فى مقدم الجناح

أم بعينيه إذا ما جالتا   تكشفان الجوَّ غيثاً أم جَهاما(١)

أم بأظفارٍ إذا شبّكها   نفذت فى الريح دَفعاً واستلاما

أم أمدّته بروحٍ أمُّهُ   يومَ ألقته وما جاز الفِطاما

فتلقّاه أبٌ ، كم من أبٍ   دونَه فى الناس بالولد اهتماما

فَلَكيٌّ هو إلّا أنه   لم ينل فهْماً ولم يُعطَ الكلاما

طِلْبةٌ قد رامها آباؤُنا   وابتغاها من رأى الدهرَ غلاما

أسقطت «أيكارَ» فى تجربة   «وابنَ فِرْناس» فما اسطاعا قياما

فى سبيل المجد أودى نفرٌ   شهداءُ العلم أعلاهم مقاما

خلفاءُ الرسل فى الأرض همُو   يبعث الله بهم عاماً فعاما

قطرةٌ من دمهم فى ملكه   تملأُ الملك جمالاً ونظاما

* * *

رَبِّ إن كانت لخيرٍ جُعِلت   فاجعل الخيرَ بناديها لِزاما

وإن اعتزّ بها الشرُّ غداً   فتعالت تُمطرُ الموتَ الزؤاما

فاملأ الجوَّ عليها رُجُماً   رحمةً منكَ وعدلاً وانتقاما

* * *

يا «فرنسا» لا عَدِمنا مِنَناً   لكِ عند العلم والفنّ جُساما

(١) الجهام : السحاب لا ماء فيه

لَطَفَ اللهُ «بباريسَ» ولا   لقيتْ إلّا نعيماً وسلاما

رَوّعت قلبى خُطوبٌ روّعت   سامرَ الأحياء فيها والنياما

أنا لا أدعو على «سين» طغى   إنّ «للسين» وإن جار زماما

لستُ بالناسى عليه عيشةً   كانت الشُّهدَ وأحباباً كراما

إجعلوها رُسلَكم أهلَ الهوى   تحملُ الأشواقَ عنكم والغراما

واستعيروها جناحاً طالما   شَغَفَ الصبَّ وشاقَ المستهاما

يحمِلُ المُضْنَى إلى أرض الهوى   «يمناً» حلَّ هواه أم «شآما»

* * *

أركبُ الليثَ ولا أركبُها   وأرى ليثَ الشرى أوفى ذِماما

غدرتْ «جيرونَ» لم تحفلْ به   وبما حاولَ من فوزٍ وراما

وقعتْ ناحيةً فاحترقت   مثل قُرص الشمس بالأُفق اضطراما

راضَها باليمنِ من طلعته   خيرُ من حجَّ ومن صلّى وصاما

كخليلِ الله فى حضرته   خرّت النّارُ خشوعاً واحتراما

* * *

ما (لروچى) صاعداً ما ينتهى ؟   أتُراه آثرَ الجوَّ فراما ؟

كلما دار به دورتَه   أبدت الريحُ امتثالاً وارتساما

أنا لو نلتُ الذى قد نالَه   ما هبَطْتُ الأرضَ أرضاها مُقاما

هل ترى فى الأرضِ إلا حسَدًا ورياءً ونزاعاً وخصاما ؟

***

مُلكُ هـذا الجوِّ فى منعْته طالما للنجم والطير استقاما
حسد الإنسانُ سِرْبيهِ[1] بما أُوتيا فى ذُروةِ العزِّ اعتصاما
دَخَلَ العشَّ على « أنسُرِهِ » أتُرى يغشى من النجم السَّناما[2] ؟
أيها الشرقُ انتبهْ من غفلةٍ ماتَ مَن فى طُرُقاتِ السَّيلِ ناما
لا تقولنَّ عظامىٌّ أنا فى زمانٍ كان للناس عِصَاما
شاقت العلياءَ فيـــه خَلَفاً ليس يألوها طِلَاباً واغتناما
كل حينٍ منهمو نابغةٌ يفضُل البدرَ بهاءً وتماما

***

خالق العُصْفورِ حيرتَ به أُمماً بادوا وما نالوا المراما
أفنَوْا النَّقدَين فى تقليده وهو كالدِّرهم ريشاً وعِظاما

(١) السرب : القطيع من الظباء والنساء وغيرها (٢) السنام : حدبة فى ظهر البعير

ابو الهول

ألقيت هذه القصيدة يوم الاحتفال بافتتاح مسرح حديقة الازبكية سنة ١٩٢١ . وقد رفع الستار يومئذ عن تمثال أبى الهول ورجل يناجيه

عمر أبى الهول — الضجر زميل البقاء — جناية الحياة — سر أبى الهول — حظه من حرب الزمن — مصر فى مختلف العصور — نداء

أَبَا الهَوْلِ : طَالَ عليكَ العُصُرْ وبُلِّغْتَ فى الارض أقصى العُمُر[1]
فيالِدَةَ الدَّهرِ : لا الدَّهرُ شَبْ بَ، ولا أنت جاوزتَ حَدَّ الصغر[2]
إلامَ ركوبُكَ مَتْنَ الرما لِ لِطَىِّ الأَصيلِ وجَوْبِ السَّحَر[3]
تُسافر مُنتَقِــلاً فى القرو نِ فأيانَ تُلقى غُبارَ السفر ؟

(١) « طال عليك العصر » العصر والعصر والعصر والعصر الدهر فالعصر هنا مفرد لا جمع — ومعنى طول الدهر على أبى الهول أنه عمر أعماراً طوالا وقد أوضح ذلك مع زيادة فى التوكيد بقوله : وبلغت فى الارض أقصى العمر : والعمر بضم العين والميم لغة فى العمر

(٢) « فيالدة الدهر » فيا أخا الدهر وقرينه ، فكأنك والدهر توءمان ، خلقتما معاً فى أوان ، « ولا أنت جاوزت حد الصغر » أى برغم انك بلغت فى الارض أقصى العمر

(٣) « إلام ركوبك « الى من حروف الجر دخلت على ما الاستفهامية فبنيت بناء كلمة واحدة وسقطت الالف من ما طلبا للخفة واعتداداً بالى الموصولة بها . وكذلك يفعلون فى بم وفيم ومم ولا يفعلون ذلك بما الخبرية ، ومن العرب من يقف على مثل هذا بالهاء فيقولون الامه وعمه وفيمه ولمه — هذا وانه لتصوير شعرى بديع رائع تصوير أبى الهول راكباً متن الرمال يطوى الليـل والنهار ، ويسافر منتقلا فى القرون والادهار « وجوب » فى معنى طى

أينكَ عهدٌ وبين الجبا ... لِ، تزولان فى المَوْعِدِ المُنتظَرِ؟ [١]

٭ ٭ ٭

أبا الهول ! ماذا وراءَ البقا ... ءِ – إذا ما تطاول – غيرُ الضَّجَرِ؟ [٢]

عجبتُ لِلقمانَ فى حرصِه ... على لُبَدٍ والنسورِ الأُخَر [٣]

---

(١) « فى الموعد المنتظر » يوم يزول كل شىء — أى اليوم الاخر (٢) « ماذا وراء البقاء » يقول ما وراء البقاء المتطاول غير السأم قال زهير بن أبى سلمى

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ... ثمانين حولا لا أبالك يسأم

(٣) « للقمان » هو لقمان بن عادياء وتزعم العرب أنه الذى بعثته عاد فى وفدها الى الحرم ليستسق لها فلما أهلكوا خير لقمان بين بقاء سبع بقرات سمر من أظب عفر فى جبل وعر لا يمسها القطر أو بقاء سبعة أنسر كلما أهلك نسر خلف بعده نسر فاستحقر الابعار وآثر النسور فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ له يا عم ما بقى من عمرك الا عمر هذا فقال لقمان هذا لبد ولبد بلسانهم الدهر . قالوا وكان يأخذ فرخ النسر فيجعله فى جوبة فى الجبل الذى هو فى أصله فيعيش الفرخ خمسمائة سنة أو أقل أو أكثر فاذا مات أخذ آخر مكانه حتى هلكت كلها الا السابع أخذه فوضعه فى ذلك الموضع وسماه لبداً وكان أطولها عمراً فضربت العرب به المثل فقالوا طال الابد على لبد قال الاعشى :

وأنت الذى ألهيت قيلا بكأسه ... ولقمان اذ خيرت لقمان فى العمر
لنفسك أن تختار سبعة انسر ... اذا ما مضى نسر خلوت الى نسر
فعمر حتى خال أن نسوره ... خلود وهل تبقى النفوس على الدهر

فعاش لقمان — كما زعموا — ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وقال النابغة

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا ... أخنى عليها الذى أخنى على لبد

وهذا لقمان بن عادياء غير لقمان الحكيم وغير لقمان اليهودى الذى آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة وكلا الاثنين مذكور فى القرآن الكريم

وَشكوَى لبيدٍ لطولِ الحيا ... ةِ، ولو لم تطُلْ لتشكّى القِصَرْ [١]

وَلو وُجِدَت فيك يا ابنَ الصَّفا ... ةِ لَحِقتَ بصانِعِكَ المقتدِرْ [٢]

فإنَّ الحياةَ تَفُلُّ الحدي ... دَ إذا لَبِسَتْهُ وتُبْلِى الحجَرْ [٣]

٭ ٭ ٭

أبا الهول ما أنتَ فى المُعْضِلا ... تِ؟ لقد ضلّتِ السُّبْلَ فيك الفِكَرْ! [٤]

تحيّرتِ البَدْوُ ماذا تكو ... نُ، وضلّتْ بوادى الظنونِ الحضَرْ [٥]

فَكنتَ لهم صورةَ العنفوا ... نِ، وكنتَ مِثالَ الحِجى والبصَرْ [٦]

---

(١) « وشكوى لبيد » أى وعجبت لشكوى لبيد لطول الحياة الخ وهو لبيد بن ربيعة الشاعر الجاهلى الاسلامى المخضرمى صاحب المعلقة التى أولها

عفت الديار محلها فمقامها ... بمنى تأبد غولها فرجامها

كان لبيد من المعمرين روى أنه مات وهو ابن مائة وأربعين وقيل وهو ابن سبع وخمسين ومائة أول خلافة معاوية أما شكواه التى ألمع اليها فذلك حيث يقول :

ولقد سئمت من الحياة وطولها ... وسؤال هذا الناس كيف لبيد

يقول اذا لم يكن وراء البقاء المتطاول الا الضجر فانى أعجب للقمان فى حرصه على أن تطول حياته وللبيد الذى وان مل الحياة وسئم من طولها فانه لا محالة كان أكثر شكاة اذا هى لم تطل لان حب الحياة جبلة مركوزة فى الطباع

(٢) « وجدت » أى الحياة « يا ابن الصفاة » الصفاة الحجر الصلد الذى لا ينبت شيئاً وفى المثل فلان ما تندى صفاته وفى الحديث لا تقرع لهم صفاة أى لا ينالهم أحد بسوء وأبوالهول ابن الصفاة لانه من الحجر « لحقت الخ » أى لا دركك الموت

(٣) فان الحياة ، من المعانى المبتكرة التى لا نظن صاحب الديوان قد سبق اليها على هذا الوجه (٤) ما أنت فى المعضلات ، خبرنى أى معضلة أنت فى المعضلات وأى معمى

(٥) تحيرت ، يقول حار الناس قاطبة فى أمرك حاضرهم والبادى (٦) صورة العنفوان لما ينطوى عليه جسمك الذى صور على صورة الاسد من معانى القوة « مثال الحجى والبصر لما ينم عنه وجهك ورأسك المصوران على صورة وجه الانسان من معانى الفطنة والبصر بالامور

وسِرُّكَ فى حُجْبِهِ كلما   أطلَّتْ عليهِ الظنونُ استترْ [١]

وما رَاعهُم غيرُ رأسِ الرجا   لِ عَلَى هيكلٍ مِن ذواتِ الظُفُرْ

ولو صُوِّروا مِنْ نواحى الطبا   ع توالَوْا عليك سِباعَ الصُّوَرْ [٢]

---

(١) يقول ومع ذلك لا يزال سرك مكتناً فى حجبه والناس من أمرك فى ظلام

(٢) ولو صوروا - أى ما كان ينبغى أن يروع الناس منك ان كان رأسك على هيكل من ذوات الظفر لان الناس لو صوروا من نواحى شيمهم وطبائعهم لتوالوا عليك كأنهم وحوش . فيارب وجه كصافى النمير والنمير الماء الناجع فى الرى أو النامى أو الكثير والنمر هو ذلك الحيوان المعروف بمكره وخبثه وشراسته . ولا يخفى ما فى هذا البيت من الجناس بين النمير وبين النمر . وللشعراء فيما يتصل بهذا المعنى ويقاربه ما يخطئه العد والاحصاء فمن ذلك ما يقول القائل

لا يغرنك ما ترى من أناس   ان تحت الضلوع داء دويا

ويقول الابيوردى

يلقاك والعسل المصفى يجتنى   من قوله ومن الفعال العلقم

يبدى الهوى ويثور- ان عرضت له   فرص - عليك كما يثور الارقم

ويقول الشريف الرضى

لا تجعلن دليل المرء صورته   كم مخبر سمج عن منظر حسن

ويقول

وكم صاحب كالرمح زاغت كعوبه   أبى بعد طول العمر أن يتقوما

تقبلت منه ظاهراً متبلجاً   وأدمج دونى باطناً متجهما

ولو أننى كشفته عن ضميره   أقمت على ما بيننا اليوم مأتما

وقال آخر

يعطيك وداً صادقاً بلسانه   ويجن تحت ضلوعه ألوانا

وقال أبو فراس

وقد صار هذا الناس إلا أقلهم   ذئاباً على أجسادهن ثياب

وقال آخر

ظننت بهم خيراً فلما بلوتهم   نزلت بواد منهم غير ذى زرع

ويقول أبو تمام

ان شئت أن يسود ظنك كله   فأجله فى هذا السواد الاعظم

ليس الصديق بمن يعيرك ظاهراً   متبسما عن باطن متجهم

فيارُبَّ وَجْهٍ كصافى النميرِ   تشابهَ حاملُه والنَّمِرْ

***

أبا الهولِ ويحكَ لا يُستقَلُّ   مَعَ الدهرِ شىءٌ ولا يُحتقَرْ [١]

تهزَّأتَ دهراً بديكِ الصباحِ   فنقَّرَ عينيكَ فيما نقَرْ [٢]

أسالَ البياضَ وسَلَّ السوادَ   وأوْغلَ مِنقارُه فى الحفَرْ

---

(١) لا يستقل لا يعد قليلا وهذا البيت كالتمهيد لما بعده (٢) بديك الصباح يريد الزمن والعلاقة بين الديكة وبين الصباح من ناحية صياحها فيه معروفة ومن حسن التعليل أن جعل سبب عبث الدهر بأبى الهول وتشويهه خلقه حتى اسال بياض عينيه وسل سوادهما هو هزء أبى الهول به وسخره منه وعدم اكتراثه له ثم تعبيره عن الدهر بديك الصباح . هذا ولمناسبة ذكر ديك الصباح نقول انه ورد فى بعض الآثار لا تسبوا الديكة فانها تدعو الى الصلاة ولابن المعتز

بشر بالصبح هاتف هتفا   هاج بالليل بعد ما انتصفا

مذكر بالصبوح هاج بنا   كخاطب فوق منبر وقفا

صفق اما ارتياحه لسنا الفجـ   ـر واما على الدجى أسفا

وللمعرى

أياديك عدت من أياديك صيحة   بعثت بها ميت الكرى وهو نائم

هتفت فقال الناس أوس بن معير   أو ابن رباح بالمحلة قائم

الى أن يقول

عليك ثياب خاطها الله قادر   بها رئمتك العاطفات الروائم

وتاجك معقود كأنك هرمز   يباهى به أملاكه ويوائم

وعينك سقط ما خبا عند قرة   كلمعة برق ما لها الدهر شائم

وما زلت للدين القديم دعامة   اذا قلقت من حامليها الدعائم

أوس بن معير هو مؤذن رسول الله بمكة بعد الفتح وابن رباح هو بلال كان يؤذن لرسول الله سفراً وحضراً ورئمتك عطفت عليك ولزمتك ويوائم يوافق ويلائم والسقط ما سقط من النار بين الزندين قبل استحكام الورى والقرة البرد

فعُدْتَ كأنَّكَ ذو المَحْبِسَيْنِ ، قَطيعَ القيامِ سليبَ البصر (١)
كأنَّ الرمالَ على جانِبَيْكَ وبينَ يديك ذنوبُ البشر
كأنَّكَ فيها لِواءُ القضاءِ على الأرض أوديْدبانُ القَدَر (٢)
كأنَّكَ صاحبُ رَمْلٍ يَرَى خَبايا الغيوبِ خِلالَ السَّطَر (٣)

* * *

أبا الهول أنت نديمُ الزمانِ نجِيُّ الأوانِ سَميرُ العُصُر (٤)
بَسطتَ ذراعيكَ من آدمٍ ووليّتَ وجهكَ شَطرَ الزُمَر (٥)
تُطِلُّ على عالَمٍ يَستَهِلُّ وتُوفى على عالَمٍ يُحْتَضَر (٦)
فَعينٌ إلى مَن بدا للوجودِ ، وأخرى مُشَيِّعَةٌ من عَبَر (٧)

---

(١) « المحبسين » المحبس الموضع الذى يحبس فيه وكان يقال عن أبى العلاء المعرى رهين المحبسين أى رهين عماه وبيته فكأنه من عماه فى محبس وكذلك أبوالهول عده شاعرنا بعد أن نقر ديك الصباح عينيه كأنه من عماه وسكونه فى محبسين

(٢) « ديدبان » فارسية معربة أصلها ديده بان ومعنى ديده العين وبان أى ذو أى الرقيب والعين ومعناها الخاص الجندى المكلف بالحراسة (٣) « السطر » السطر والسطر الصف من الكتاب والشجر ونحوهما ومعنى البيت ظاهر (٤) « نجى الاوان » النجى بوزن فعيل الذى تساره وفى الحديث اللهم بمحمد نبيك وبموسى نجيك هو المناجى المحدث للانسان

(٥) « من آدم » أى من قديم القديم « الزمر » جمع الزمرة الجماعة من الناس والمراد هنا الناس جميعاً

(٦) « يستهل » يعنى يقدم على الدنيا من استهل الصبي بالبكاء رفع صوته وصاح عند الولادة « يحتضر » حضر فلان واحتضر اذا نزل به الموت (٧) « وأخرى مشيعة من عبر » من مضى

فَحدِّث فَقَدْ يُهْتَدى بالحديثِ ، وخبِّر فقد يُؤتَسى بالخبَر (١)
ألم تَبْلُ فرعونَ فى عزِّه إلى الشمس مُعتَزِياً والقمر (٢)
ظليلَ الحضارة فى الأوَّلينَ ، رَفيعَ البناء ، جليلَ الأثر (٣)
يُؤسِّسُ فى الأرض للغابرينَ ويغرِسُ للآخِرين الثَمر (٤)

---

(١) « فحدث » هذا البيت هو كالمدخل لما بعده

(٢) « ألم تبل فرعون » بلاه يبلوه بلوا وابتلاه جربه واختبره وفرعون لقب يطلق على كل من ولى ملك مصر كالنجاشى لملوك الحبشة وقيصر لملوك الرومان وفرعون أصلها فى الهيروغليفية مركبة من بى وهى أداة التعريف كأل وراءِ أى الشمس فتكون كلمة واحدة وراع أو راهو معبود قوى وحاكم جبار يقاتل احتفاظاً بالحياة وابقاء على الكون ومن هنا كان العتو والجبروت وما فى معناهما من مدلولات كلمة فرعون عند العرب — واذن لا يقصد بفرعون فرعوناً معيناً ولكن جميع فراعنة مصر وقد ابتلاهم أبوالهول « الى الشمس معتزيا » يقول ألم تبل يا أبا الهول فرعون وهو فى عزه حتى لكأنه من العز والمنعة بحيث يناطح الشمس والقمر لان من اعتزى الى شيء قاربه وشاكله وقد كان أكثر الفراعنة يضعون على تيجانهم صورة أوزيريس « الشمس » وايزيس « القمر » لانهما من أصنامهم فلعله يشير الى هذا مع ارادة معنى العز والمنعة (٣) « ظليل الحضارة » مكان ظليل ذو ظل دائم يستظل به يريد أن حضارة فرعون كانت من الكمال بحيث تظل الناس ويرتعون فى ذراها وكنفها والحضارة بكسر الحاء وفتحها الاقامة فى الحضر والحضر والحضرة والحاضرة خلاف البدو والبادية وهى المدن والقرى والريف سميت بذلك لان أهلها حضروا الامصار ومساكن الديار التى يكون لهم بها قرار قال القطامى

فمن تكن الحضارة أعجبته فأى رجال بادية ترانا

وقال المتنبي

حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفى البداوة حسن غير مجلوب

ولكن الحضارة هنا بمعنى التمدين

(٤) « للغابرين » الغابر من الاضداد فيكون بمعنى الباقى ويكون بمعنى الماضى ومن ثم يكون معنى البيت اما أن فرعون يخلد ذكر الماضين باقامة الآثار لهم والتماثيل ويغرس للآتين ما يجنون ثمره من دور العلم والعرفان وما اليها واما أن فرعون يؤسس للآتين ويغرس لهم كل ما يجدى ويثمر

وراعك ما راع من خيل قمبيز   ترمى سنابكها بالشرر[١]

جوارف بالنار تغزو البلا   د وآونة بالقنا المشتجر

وأبصرت إسكندراً فى الملا   قشيب العلا فى الشباب النضر[٢]

---

(١) « قمبيز » هو ابن كورش الاكبر الذى أسس دولة الفرس العظيمة ومعلوم ان الفرس من الدول الذى غزت مصر واستولت عليها حيناً من الدهر قال المؤرخون أخذ الفرس فى غزو مصر أزمان الاسرة السادسة والعشرين وذلك حين ولى الملك « ابسمتيك الثالث » أحد ملوك هذه الاسرة فأعد الفرس لهذه الغزاة المعدات الكبيرة وجهز ملكهم « قمبيز » بجيش جرار لفتح البلاد التى طالما شرهت نفس أبيه كورش العظيم الى اخضاعها وكانت مصر اذ ذاك حصينة غاية فى المنعة . يقول مؤرخو الاغريق ان أحد الجنود اليونانية هو الذى خان مصر والمصريين ودل الفرس على أسهل الطرق التى يمكنهم بواسطتها أن يدخلوا البلاد فهوجمت مدينة « بلوز » « الفرما » بحراً وزحفت الجنود الفارسية على مصر براً وبعد مقاومة عنيفة جهتى بلوز ومنف سقطت البلاد وأخذ قمبيز ابسمتيك أسيراً وكان ذلك سنة ٥٢٥ قبل الميلاد. ثم سار قمبيز أول أيامه سيرة حسنة وعامل المصريين معاملة طيبة يحترم دياناتهم وتقاليدهم ولكنه بعد ذلك لبس لهم جلد النمر وحنق على البلاد ومن فيها فكر على المعابد والهيا كل فهدمها وقتل بيده العجل أبيس أثناء أحد الاحتفالات الكبيرة وعند عودته الى فارس مات فى الطريق سنة ٥٢١

ولما ولى ملك فارس دارا الاول زار مصر وأراد ان يصلح ما أفسده قمبيز فأبدى احتراماً كبيراً لديانة المصريين ومعبوداتهم وشيد هيكلا عظيما للمعبود آمون بواحة سيوة الكبرى وعضد التجارة وشيد كثيراً من المدارس وفتح الخليج الموصل ما بين النيل والبحر الاحمر ورأى المصريون آخر أيامه ما لحقه من الخسائر فى واقعة « مرتون » فى حربه مع الاغريق فخرجوا عن طاعته وطردوا الفرس من البلاد بقيادة أحد الامراء الوطنيين سنة ٤٨٦ ق . م ثم غزا الفرس مصر ثانية وما زالوا بها حتى طردهم المصريون سنة ٤٠٥ ق . م

(٢) « اسكندر » هو الاسكندر الاكبر المقدونى الفاتح العظيم قال المؤرخون بعد ان هزم الاسكندر الفرس فى واقعة اسوس زحف على مدينة صور فأخذها عنوة وبذلك تم استيلاؤه على الشام ثم قدم الى مصر وكان الفرس قد استدعوا حاميتها منها بسبب حروبهم مع الاسكندر فلما وصل الاسكندر الى « بلوز » « الفرما » سنة ٣٣٢ ق . م رحب به المصريون لما سمعوه عن عدالة حكمه ولما لاقوه من الذل والهوان فى حكم الفرس ففتحت مصر أبوابها ودخلها دون عناء حتى ان الوالى الفارسى لم يجرؤ على مقاومته وقابله فى منف بترحاب ومن ثم

تبلج فى مصر إكليله   فلم يعد فى الملك عمر الزهر

وشاهدت قيصر كيف استبد   د ، وكيف أذل بمصر القصر[١]

وكيف تجبر أعوانه   وساقوا الخلائق سوق الحمر

وكيف ابتلوا بقليل العديد   من الفاتحين كريم النفر

رمى تاج قيصر رمى الزجا   ج ، وفل الجموع وثل السرر[٢]

سار الاسكندر الى واحة آمون الكبرى ودخل معبد آمون ولقبه الكهنة بابن آمون فاحترم ديانة المصريين وقدم القرابين لمعبوداتهم ولم يهمل مع ذلك التقاليد الاغريقية فأدخل منها فى مصر الموسيق والالعاب النظامية ولما رأى الاسكندر أن قرية « راقوده » وهى قرية صغيرة كانت بقرب الاسكندرية — ذات موقع بحرى موفق أنشأ بجوارها حاضرة جديدة له هى الاسكندرية وبعد أن استوثق الامر للاسكندر فى مصر خرج الى فتوحاته الاخرى فى المشرق وكانت وفاته سنة ٣٢٣ وكان عمره اذ ذاك ٣٢ سنة ونيفاً ولم يقم بمصر كما ترى الا قليلا فذلك حيث يقول فى البيت التالى « فلم يعد فى الملك عمر الزهر » وخلف الاسكندر على مصر البطالسة وما زالوا بها الى أن استولى الرومان عليها « اكليله » تاجه

(١) قيصر أسلفنا أن قيصر هذا لقب ملوك الرومان قال المؤرخون ما كادت دولة الرومان تظهر بين ممالك الارض حتى أخذت العلائق تنشأ بينها وبين دولة البطالسة فى مصر ولبثت بين الدولتين مدة طويلة من أيام مجد البطالسة الى انقراضهم تطورت أثناءها فى عدة أطوار : ابتدأت بمصادقة الرومان للبطالسة ثم انتقلت الى حمايتهم لهم ثم السيطرة عليهم ثم انتهت باستيلائهم على مصر سنة ٣٠ ق . م . فى عهد أغسطس ودخلت مصر باستيلاء الرومان عليها فى عهد خمول سياسى طويل امتد نحواً من ٦٧ سنة لم يكن لها فيه شىء يذكر فى التاريخ بل كانت حقل لانتاج الحبوب وتصديرها الى رومية لسد أهم جزء من الخراج وما زال الرومان بمصر حتى أدال الله منهم بالعرب سنة ٦٤١ على يد عمرو بن العاص فذلك حيث يقول « وكيف ابتلوا بقليل العديد الخ القصر أى الاعناق قال الشاعر

لا تدلك الشمس الا حذو منكبه   فى حومة تحتها الهامات والقصر

(٢) رمى أى هذا النفر القليل وهم أصحاب عمرو بن العاص وفل الجموع . هزمها . وثل السرر كسرها والسرر جمع سرير والمراد بها هنا العروش التى يجلس عليها القياصرة

فدعْ كلَّ طاغيـةٍ للزما نِ فإن الزمانَ يُقيم الصَّعَر (١)
رأيتَ الدياناتِ فى نَظْمِها وحينَ وَهى سلـكُها وانتثر (٢)
تشادُ البيوتُ لها كالبرو جِ إذا أخَذَ الطَّرْفُ فيها انحسر (٣)
تَلاَقَى أساساً وشُمَّ الجبا لِ كما تلاقى أصولُ الشجر (٤)
وإِيزيسُ خَلْف مقاصيرها تَخَطَّى الملوكُ إليها السُّتُر (٥)

(١) « الصعر » ميل فى العنق وانقلاب فى الوجه الى احد الشقين وقد صعر خده أماله من الكبر قال المتلمس

وكنا اذا الجبار صعر خده أقمنا له من ردئه فتقوما

والزمان يقيم الصعر يعدل الطغاة يقال اقمت الشيء فقام اى استقام

(٢) « فى نظمها وحين وهى سلكها » فى حالتى قوتها وضعفها

(٣) « انحسر » كل والبصر يحسر عند اقصى بلوغ النظر (٤) « تلاقى » تتلاقى بحذف احدى التاءين يريد انها راسخة رسوخ الجبال (٥) « ايزيس » هى من معبودات قدماء المصريين وهى اخت أوزيريس وزوجته فى الوقت نفسه وأم هوروس وهاربوقراط — يرى قدماء المصريين ان ايزيس هذه وليت أمر مصر مع اخيها وزوجها أوزيريس حينا من الدهر ازدهرت فيه الزراعة ويؤخذ من تقاليد ايزيس انها عندهم رمز للقمر وأوزيريس رمز للشمس ومن هنا يريد بايزيس القمر وقوله تخطى اى تتخطى بحذف احدى التاءين وقوله تضىء على صفحات السماء اى ايزيس بمعنى قمر السماء الحقيق وقوله وتشرق فى الارض منها الحجر اى القمر بمعنى المعبود فى الارض وعلى ذلك يكون فى الكلام استخدام وهو عند علماء البيان ان يراد بلفظ له معنيان احدهما ثم يراد بضميره الآخر او يراد بأحد ضميرين احدهما ثم بالآخر الآخر فالاول كقول معوذ الحكماء

اذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وان كانوا غضابا

فانه اراد بالسماء الغيث وبضميره النبت . والثانى كقول البحترى

فسقى الغضا والساكنيه وان همو شبوه بين جوانح وقلوب

فانه اراد بضمير الغضا فى قوله والساكنيه المكان وفى قوله شبوه اى اوقدوه الشجر « الحجر » جمع حجرة كغرفة وغرف

تضىءُ على صفحـات السما ءِ وتُشرِقُ فى الأرض منها الحجر
وآبيسُ فى نـيرِه العالَمو نَ، وبعضُ العقائدِ نيرٌ عسِر (١)
تُساس به معضِلات الأمو رِ، ويُرْجى النعيمُ وتُخشى سَقَر
ولا يَشعُرُ القوم إلاَّ به ولو أخَذَتْهُ المُدى ما شَعَر
يَقِلُّ أبو المِسْكِ عَبْـداً له وإن صاغَ أحمدُ فيه الدُّرَر (٢)
وآنستَ موسى وتابوتَه ونُورَ العَصا والوصايا الغُرَر (٣)
وعيسى يَلمُّ رِداءَ الحيا ءِ ومريمُ تَجْمع ذيلَ الخَفَر (٤)

(١) « وآبيس » هو العجل أبيس . رووا أن تيفون اله الشر تغلب أخيراً على أوزيريس اله الخير وقتله فتقمصت روحه جسد عجل وكان هذا العجل عندهم يمثل الخصب والتوليد الخلق وكانوا يعتقدون أن العجل الذى تقمصته روحه هو ابن بقرة حملت بواسطة شعاع من الشمس وشعاع من القمر وله علامات ظاهرة فى جسده فانه يكون أسود اللون وفى جبهته سمة بيضاء مربعة او مثلثة وصورة نسر على ظهره وصورة خنفساء تحت لسانه وكان الكهنة عند ما يجدون العجل بعد موت سلفه يركبون مركبة حربية ويسيرون به باحتفال عظيم الى هليوبوليس وكانوا يضعونه فيها فى هيكل يتركونه مفتوحاً للعبادة أربعين يوماً وكان الاهالى عند موته ينوحون ويلبسون ثوب الحداد ويضعونه فى ناووس ثمين جداً وكانوا يقومون بالاحتفال بأيامه المقدسة كل سنة عند ارتفاع النيل وذلك باقامة الولائم والافراح وكانوا يطرحون فى ذلك الوقت اناء من الذهب فى النيل لاخماد غضب التماسيح « فى نيره » النير هو الخشبة المعترضة على عنق الثورين المقرونين للحراسة بآذانهما وهم يقولون فلان تحت نير فلان يريدون الخضوع والاستخذاء (٢) « ابو المسك » كافور الاخشيدى « احمد » ابو الطيب المتنبي (٣) وتابوته ونور العصا والوصايا الغرر — التابوت الذى وضع فيه موسى وقذف به فى النيل وعصا موسى وما كان منها من الايات والوصايا العشر — كل أولئك معروف فلا حاجة بنا الى الاضافة فيه (٤) وعيسى يلم رداء الحياة — يقول وشاهدت عيسى وهو المثل الاعلى للحياة ومثله فى ذلك العذراء

وعمرٌو يسوقُ بمصرَ الصحا بَ ويزجي الكتابَ ويحدو السُّور (١)

فكيف رأيتَ الهُدى والضلا لَ ودُنيا الملوكِ وأُخرى عُمر؟ (٢)

ونبذَ المُقوقِسِ عهدَ الفجو رِ وأخذَ المقوقس عهدَ الفجر (٣)

وتبديله ظلمـات الضلا لِ بصُبحِ الهداية لما سفر (٤)

وتأليفه القبطَ والمسلمي نَ كما أُلِّفتْ بالولاء الأُسر (٥)

أبا الهول: لو لم تكن آيةً لكان وفاؤكَ إحدى العِبَر (٦)

أطلتَ على الهرمَين الوقو فَ كثاكلةٍ لا تَريم الحفر (٧)

---

(١) وعمرو. يقول وقد رأيت عمرو بن العاص اذ يسوق المسلمين لفتح مصر ويزجي كتاب الله وآياته (٢) فكيف رأيت. يقول خبرني يا ابا الهول كيف رأيت فرق ما بين هدى المسلمين واخرى عمر اى دنياه التى كأنها الاخرى فى الصلاح وما اليه من كل ما كان ماثلا ايام الفاروق رضى الله عنه وارضاه. وما بين الضلال ودنيا الملوك من القياصرة والفرس والروم ومن اليهم

(٣) «المقوقس» هو. سيروس. بطريق الطائفة الملكانية بالاسكندرية والحاكم الادارى بمصر من قبل الرومان والذى فتح عمرو بن العاص فى عهده وفى المقريزى أنه يسمى المقوقس ابن قرقنت. ولعله محرف عن سيروس «عهد الفجور» عهد الانحراف عن الصراط السوى عهد الاسراف فى المعاصى والآثام. عهد الرومان الذى استبدل به المقوقس عهد الفجر أى عهد الخير العميم، عهد النور، عهد التقى والاصلاح. عهد الاسلام. اذ مالأ المسلمين وعبد لهم طريق الفتح (٤) «وتبديله» فى معنى البيت الذى قبله «لما سفر» سفر الصبح وأسفر أضاء (٥) «وتأليفه» أى المقوقس «الاسر» جمع الاسرة وأسرة الرجل عشيرته ورهطه الادنون (٦) أحدى العبر. احدى الايات (٧) أطلت الخ. بيان لوفاء أبى الهول كثاكلة. يقول إنك فى اطالتك الوقوف على الهرمين وفاء منك كثاكلة ولدها لا تبرح قبره ولا تزايله فالثاكلة هى التى فقدت ولدها ولا تريم أى لا تبرح والحفر جمع حفرة وهى ما يحفر فى الارض والمراد بها هنا القبر

تُرَجي لبـانيهما عودةً وكيف يَعودُ الرميمُ النخِر؟ (١)

تجوس بعينٍ خِـلالَ الديا رِ وتَرمي بأخرى فضاءَ النَّهَر (٢)

تروم بمنفيسَ بيضَ الظبا وسُمرَ القنا والخميسَ الدَّثَر (٣)

---

(١) «لبانيهما» أى لبانى الهرمين (٢) «تجوس» تطوف وتتخلل «النهر» النهر والنهر واحد الانهار يعنى نهر النيل (٣) «ترمى» تنشد وتطلب «بمنفيس» منف — وموضعها اليوم البدرشين وميت رهينة — هى عاصمة ملك الفراعنة والذى بناها هومينا مؤسس الاسر المالكة وكانت كما قال شاعرنا مهد العلوم الخطير الجلال وعهد الفنون الجليل الخطر ولا يخفى ما فى هذا البيت من العكس والعكس هذا من المحسنات البديعية وهو أن تقدم فى الكلام جزءاً ثم تعكس فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت مثل قول الحماسى

فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا

وقول أبى الطيب:

فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

وقول الآخر:

ان الليالى للانام مناهل تطوى وتنشر دونها الاعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار

«الخميس الدثر» الجيش الكثير — يقول انك يا أبا الهول لأوفى الاوفياء اذ كأنى بك وقد فقدت تلك الحضارة الباهرة والمدنية الزاهية الزاهرة التى تمليت بها حيناً من الدهر وشاهدت عصرها الذهبي ثم ذهبت وذهب أهلوها وأصبحت منفرداً وحيداً

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فأبى عليك وفاؤك إلا أن تطيل الوقوف على الهرمين شأن الثكول فقدت وحيدها فأبى عليها وجدها أن تريم قبره وكأنك فى وقوفك هذا ترجى لبانى الهرمين عودة تعود معها تلك المعانى الساميات، وتنشد بمنفيس وهى منك عن كثب عهد القوة والعظمة والسلطان وعهد العلوم والعرفان وعهد الفنون الخطير الجلال مما رأيت فى الزمن الخالى فلا تصيب شيئاً من ذلك ولا تقع عينك من منفيس هذه إلا على قرية قد اندثرت ودمنة قد عفت تكاد لاغراقها فى الجمود اذا الارض دارت بها لم تدر فترى فى هـذه الابيات صورة أبى الهول فى وقوفه هذا صورة شعرية آية فى الابداع والتخيل الشعرى ثم ترى فيها وصف عظمة المصريين وان مصر كانت مهد الحضارة والتمدين ولاجرم فقد أمها وجاوز فيها للاستفادة أمثال ليكرغ وصولون من كبار المتشرعين و فيثاغورس و أفلاطون و اقليدس من شيوخ الفلسفة كما تؤم اليوم بلاد المغرب للمجارة فيها والافادة منها ومن هنا قال بعد ذلك فهل من يبلغ عنا الاصول

ومهدَ العلوم الخطيرَ الجلا لِ وعهدَ الفنون الجليلَ الخطَر

فلا تستبين سِوى قريةٍ أجدَّ محاسنَها ما اندثر[1]

تكاد لإغراقها فى الجمو دِ إذا الأرض دارت بها لم تدُرْ

فهل منْ يُبلغُ عنّا الأُصو لَ بأن الفروعَ اقتدت بالسير ؟[2]

وأنا خَطبنا حِسانَ العُلا وسقنا لها الغالىَ المدَّخر

وأنا ركِبنا غمارَ الأُمو رِ وأنّا نزَلنا الى المؤتمر[3]

بكل مُبينٍ شديد اللدا دِ وكلِّ أريبٍ بعيد النظر[4]

تُطالب بالحق فى أمّةٍ جَرى دمُها دونه وانْتشر[5]

ولَم تفتخر بأساطيلها ولكن بِدستورها تفتخر[6]

فَلم يبقَ غيرُك من لم يخِفْ ولم يبقَ غيرُك من لم يطِر

تحرَّك أبا الهول هذا الزما نُ تحركَ ما فيه ، حتى الحَجر ؟

(١) « أجد محاسنها ما اندثر » يقول ان طلولها الدوارس ورسومها المندثرة البوالى أجدت محاسنها وهو معنى دقيق عجيب ولعله ينظر الى قول أبى نواس

لمن دمن تزداد حسن رسوم على طول ما أقوت وطيب نسيم

تجافى البلا عنهن حتى كأنما لبسن على الاقواء ثوب نعيم

هذا ويجوز أن يكون أجد مبتدأ وما اندثر خبر أى ان أجد ما فى هذه القرية وأجله هو آثارها الدوارس (٢) « الاصول » أصولنا وآباؤنا الذين وصف « الفروع » نحن المصريين أبناء هذا الجيل « اقتدت بالسير » فحذت حذو أصولها اذ كان منا فى هذه الآونة ما قصه بعد (٣) « غمار الامور » شدائدها جمع غمرة « المؤتمر » مؤتمر الصلح الذى عقد على أثر انتهاء الحرب الاوروبية العامة سنة ١٩٢٠ الذى فزعنا اليه فى شخص الوفد المصرى (٤) الشديد اللداد أى الشديد الخصومة والجدل الذى لا يغلب والاريب العاقل البعيد النظر (٥) « تطالب » أى الفروع « دونه » دون هذا الحق (٦) « ولم تفتخر » أى انها مع ذلك لم تعتز بقوتها المادية من جيش وأسطول وما الى ذلك ولكنها تعتز بحقها الطبيعى الذى ليس الا به كيانها

على قبر نابليون

هذه القصيدة إحدى عدة قصائد نظمها الشاعر فى منفاه

قبر نابليون — المجد للقبر أم للدفين — ابن نفسه — عفة الناس — ابطال العالم — مصير الأحياء — استرلتز — الدمع للجندى والاكليل للقائد مراقى البطولة — نابليون خطيباً — وقفة الهرم — الدنيا بين الأمس واليوم

قِفْ عَلَى كَنْزٍ بباريسَ دفينْ من فريدٍ فى المعالى وثَمين

وافتقِدْ جوهرةً من شرفٍ صَدَفُ الدهر بتِربيْها ضنين[1]

قد توارتْ فى الثرى حتى إذا قدُمَ العهدُ توارت فى السنين

غُرِّبَتْ حتى إذا ما استيأستْ دنتِ الدارُ ولكن لاتَ حين

لم تُذِبْ نارُ الوغى ياقوتَها وأذابته تباريحُ الحنين[2]

لا تلوموها ، أليستْ حرةً وهوَى الاوطانِ للأحرارِ دين ؟

⁂

غيّبت باريسُ ذخراً ومضى تُرْبُها القيِّمُ بالحرْزِ الحصين[3]

نزَلَ الأرضَ ولكن بعد ما نزلَ التاريخ قبرَ النابغين

(١) الترب اللدة والنظير والتثنية هنا فى معنى الافراد (٢) تباريح الشوق توهجه على انه جمع لا مفرد له أو هو جمع تبريح (٣) الحرز الموضع الحصين

أعظمُ الليثِ تلقّاها الشَّرَى ورُفاتُ النَّسرِ حازتْه الوكون (١)

وحوَى الغِمدُ بقايا صارمٍ لم تُقلِّبْ مثلَه أيدى القُيون (٢)

شيَّدَ النـــاسُ عليه وبنَوْا حائطَ الشكِّ على أسِّ اليقين (٣)

لستَ تُحصِى حوله ألْويةً أُسِرتْ أمسِ وراياتٍ سُبِين (٤)

نام عنها وهى فى سُدَّتِه دَيْدُبانٌ ساهرُ الجَفْنِ أمين

وكأىٍّ من عدوٍّ كاشحٍ لك بالأمس هو اليوم خدين (٥)

ووليٍّ كان يسقيك الهوى عسلًا قدبات يسقيك الوزين (٦)

فاذا استكرمتَ وُدًّا فاتّهِم جوهرَ الوُدِّ وإن صحّ ظنين (٧)

* * *

مَرْمَرٌ أُضْجِعَ فى مَسْنونه (٨) حَجرُ الأرضِ وضِرْغامُ العرين (٩)

جلّلتْهُ هيْبةُ الثاوى (١٠) به روعةَ الحكمةِ فى الشِّعرِ الرصين

هل درى المرمرُ ماذا تحته من قُوَى نفسٍ ومن خلقٍ متين؟

---

(١) الشرى مأسدة بجانب الفرات يضرب بها المثل . والوكون جمع وكن وهو عش الطائر فى جبل أو جدار (٢) الصارم السيف القاطع والقيون جمع قين وهو صانع الحديد . والشرى والوكون والغمد كلها فى هذين البيتين كنايات عن باريس (٣) حائط الشك كناية عن القبر وأس اليقين هو الموت الذى يتمثل فيما يضمه القبر من رفات (٤) يشير الى تلك الاعلام التى غنمها نابليون فى حروبه . ثم وضعت على قبره رمزاً لما نال فى هذه الحروب من نصر وتوفيق (٥) العدو الكاشح هو الباطن العداوة والخدين هو الصاحب والحبيب (٦) الوزين حب الحنظل المطحون (٧) الظنين المتهم (٨) المرمر المسنون المصقول (٩) حجر الارض كناية عن محورها والمراد به نابليون والضرغام الاسد (١٠) الثاوى المقيم

أيُّها الغالون (١) فى أجْداثِهم ابحثوا فى الأرض : هل عيسى دفين؟

يَمّحِى الميْتُ ويبلَى رمسُه ويَغُولُ الرَّبْعَ ما غالَ القطين (٢)

حصِّنوا ما شئتُمو مَوْتاكمو ! هل وراءَ الموتِ من حصنٍ حصين؟

ليس فى قبرٍ وإن نالَ السُّها ما يزيد الميْتَ وزنًا ويزين (٣)

فانزِلِ التاريخَ قبرًا أو فنَمْ فى الثرى غُفْلًا كبعضِ الهامدين (٤)

واخدَعِ الأحْياءَ ما شئْت فلن تجِدَ التاريخَ فى المنخدِعين !

* * *

يا عِصاميًّا حوَى المجدَ سوَى فَضْلةٍ قد قُسِمت فى المُعرِقين (٥)

أُمُّك النفسُ قديمًا اكرَمت وأبوكَ الفضْلُ خيرُ المُنجبين (٦)

نَسَبُ البدرِ أو الشمسِ — إذا جىءَ بالآباءِ — مغمورٌ رهين

وأُصولُ الخمرِ ما أزكى على خُبْثِ ما قدْ فعلتْ بالشاربين

لا يَقُولنَّ امرؤٌ أصلى ، فما أصلُه مِسْكٌ وأصلُ الناسِ طين !

قد تتوَّجتَ فقالتْ أُمّةٌ : ولدُ الثورةِ عقَّ الثائرين

وتزوَّجتَ فقالوا : ما لَه ولحورٍ من بنات المُلك عين؟ (٧)

---

(١) الغالون جمع غال وهو المسرف (٢) يمحى أى يزول والرمس القبر والقطين السكان (٣) السها كوكب من بنات نعش الصغرى يضرب به المثل فى السمو والارتفاع (٤) غفلا أى مجهولا (٥) الفضلة البقية من كل شىء والمعرق العريق فى الاصل (٦) اكرمت أى ولدت كراماً (٧) يشير الى زواجه من مارى لويز ابنة امبراطور النمسا

قسماً لو قدروا ما احتشموا … لا يَعِفُّ الناسُ إلا عاجزين

* * *

أرأيتَ الخيرَ وافى أُمَّةً … لم ينالوا حظَّهمْ فى النابغين

يصلحُ المُلْكُ عَلَى طائفةٍ … هم جمالُ الأرض حيناً بعد حين

ملأوا الدنيا ، عَلَى قِلَّتهم … وقديماً ملئَتْ بالمرسَلين

يحسُنُ الدهرُ بهم ما طلعوا … وبهم يزدادُ حسناً آفلين[١]

قد أقاموا قُدوةً صالحةً … ومضوْا أمثلةً للمحتَذِين

إنما الأسوةُ — والدنيا أُسًى — … سببُ العُمرانِ نظمُ العالمين[٢]

يا صريعَ الموتِ ندمانَ البِلَى … كلُّ حيٍّ بالذى ذُقتَ رَهين[٣]

كدتَ من قتلِ المنايا خبرةً … تعلَمُ الآجالَ أيانَ تحين[٤]

يا مُبيدَ الأسدِ فى آجامها … هل أبادتْ خيلكَ الدودَ المهين ؟

يا عزيزَ السجنِ بالبابا الى … كم تردَّى فى الثرى ذُلَّ السجين ؟[٥]

ربَّ يومٍ لك جَلَّى وانثنى … سائلَ الغُرَّةِ ممسوحَ الجبين[٦]

---

(١) أفول النجم غروبه والمراد به هنا الموت (٢) الاسوة القدوة وجمعها أسى

(٣) الندمان النديم على الشراب وندمان البلى كناية عن الميت (٤) يشير الى قول نابليون : « ان الرصاصة التى تخترق هذا الصدر لم تخلق بعد » . يقول انك لكثرة ما اختبرت المنايا بقتل أعدائك أصبحت تعرف متى تحين الآجال (٥) يشير إلى ما فعل نابليون بالبابا

(٦) جلى سبق . والغرة فى جبين الفرس بياض ، ومسح الجبين عادة لسواس الخيل يأتونها بعد سبق جيادهم فى حلبة الرهان . ولا يخفى ما فى البيت كله من مراعاة النظير

أحرزَ الغايةَ نصراً غالياً … لفرنسا وحوَى الفتحَ الثمين

قيصرَا الأنساب فيه نازلا … قيصرَ النفسِ عصامَ المالكين[١]

مُجلسَ التاجِ عَلَى مفرقِهِ … بيديْه لا بأيدى المجلسين[٢]

حولَ (أسترليزَ) كان الملتقى … واصطدامُ النَّسرِ بالمستنسِرين[٣]

وُضِعَ الشِّطرنْجُ فاستقبلتهُ … بينانٍ عابثٍ باللاعبين

فإذا المَلْكانِ هذا خاضعٌ … لك فى الجمْعِ وهذا مُستكين[٤]

صِدْتَ شاهَ الرُّوسِ والنمسا معاً … من رأى شاهينَ صيدا فى كمين ؟

* * *

يا مُدَقِّقَ النصرِ فى أحلامِهِ … أين من وادى الكرى: سنتِ هلين[٥] ؟

يا منيلَ التاجِ فى المهدِ ابنَه … ما الذى غرَّكَ بالغيبِ الجنين ؟[٦]

اتَّئِدْ فى أمةٍ أرهقْتَها … إنها كالناسِ من ماءٍ وطين

أتعبَ الريحَ مَدَى ما سلكتْ … من سُهولٍ وأجازتْ من حُزون[٧]

---

(١) يريد بقيصرى الانساب ملكى الروسيا والنمسا وقد ولدا للملك والسلطان . وقيصر النفس نابليون وهو الذى سودته نفسه ولم تسوده الانساب (٢) الاشارة الى نابليون . يشير الى أنه هو الذى توج نفسه بيده يوم قدم اليه التاج ، ولم ير لاحد ممن قدموه له حقاً فى هذا العمل (٣) استرليتز موقعة من المواقع التى انتصر فيها نابليون (٤) الملك بتسكين اللام هو الملك (٥) سانت هيلين الجزيرة التى نفى اليها نابليون (٦) يشير الى قول نابليون يوم بشر بولى عهده أو كما سماه « ملك رومة » — المستقبل لى (٧) الحزون جمع حزن وهو ما غلظ من الارض

من أديمٍ يهرأ الدبَّ إلى   فَلَواتٍ تُنضِجُ الضبَّ الكنين[١]

لك فى كلِّ مُغارٍ غارُهُ   وعليها الدمعُ فيه والأنين[٢]

ومن المكرِ تغنيكَ بها   هل يزكّى الذّبحَ غيرُ الذابحين؟[٣]

سُخَّرَ الناسُ وإن لم يشعروا   لقويٍّ أو غنيٍّ أو مُبين

والجماعاتُ ثنـايا المرتقِى   فى المعالى وجُسورُ العابرين

☆☆☆

يا خطيبَ الدهرِ هل مال البِلَى   بلسانٍ كان ميزانَ الشئون ؟

ترْجحُ السلمُ إذا حرّكتَهُ   كِفّةً أو ترجحَ الحربُ الزبون

خُطَبٌ لا صوتَ إلا دونَها   فى صداها الخيلُ تجرى والسنين

من قصيرِ اللفظِ فى مكرِ النُّهى   وطويلِ الرُّمحِ فى كيد الوتين

غيرَ وضّاعٍ ولا واشٍ ولا   مُنكَرِ القولِ ولا لَغوِ اليمين

سِرْنَ أمثالاً فلو لم يُحيِهِ   سيفُهُ أحيَيْنَهُ فى الغابرين[٤]

☆☆☆

قمْ إلى الأهرامِ واخشعْ واطرِحْ   خيْلةَ الصيدِ وزهوَ الفاتحين[٥]

(١) الاديم هنا سطح الارض وهرأ اللحم أنضجه والكنين المستور فى جحره
(٢) المغار الغارة على الاعداء والغار ورق الكروم وقد كان يتخذ منه اكليل للفاتح المنصور عند القدماء (٣) التزكية المدح ، والذبح ما يذبح (٤) الغابر الماضى والآتى من أسماء الاضداد (٥) الصيد الملوك

وتمهّلْ إنمـا تمشى إلى   حَرَمِ الدهرِ ومحرابِ القرون

هو كالصخرةِ عند القبط أو   كالحطيمِ الطُّهرِ عند المسلمين

وتسنّمْ منبراً من حَجَرٍ   لم يكنْ قبلَكَ حظَّ الخاطبين

وادْعُ أجيالاً تولّتْ يَسْمعوا   لكَ وابعثْ فى الأوالى حاشرين

وأعِدْها كلماتٍ أربعاً[١]   قد أحاطتْ بالقرون الأربعين

ألهبتْ خيلاً وحضّت فيْلقاً   وأحالتْ عسلاً صابَ المَنون

قد عرَضتَ الدهرَ والجيشَ معاً   غايةً قصّرَ عنهـا الفاتحون

ما علمنا قائداً فى مَوْطِنٍ   صَفَحَ[٢] الدهرَ وصفَّ الدارعين

فترى الأحياءَ فى مُعتركٍ   وترى الموْتى عليهم مُشرفين

عظةٌ قومى بها أوْلى وإن   بَعُدَ العهدُ ، فهل يعتبرون ؟

هـذه الأهرامُ تاريخهمو   كيف من تاريخهم لا يستحون!

☆☆☆

يا كثيرَ الصَّيْدِ للصيد العُلا   قم تأمّلْ كيف صادتْكَ المنون

قم ترَ الدنيـا كما غادرْتها   منزِلَ الغـدرِ وماءَ الخادعين

وترَ الحقَّ عزيزاً فى القنـا   هيِّناً فى العُزَّلِ المستضعَفين[٣]

(١) يشير الى تلك الجملة المشهورة التى قالها وهو على قمة الهرم يشجع جنوده البواسل « أيها الجنود : ان أربعين قرناً تنظر اليكم من قمة الاهرام » (٢) صفح الكتاب قلب صفحاته (٣) القنا جمع قناة وهى الرمح

وترَ الأمرَ يداً فوق يدٍ وترَ الناسَ ذئاباً وضَئين [١]

وترَ العزَّ لسيف نَزِقٍ فى بناء الملْكِ أو رأى رزين

سنن كانت ، ونظمٌ لم يزلْ وفسادٌ فوق باعِ المصلحين

---

(١) الضئين الغنم

بين الحجاب والسفور

فى فجر النهضة المصرية انبعثت للسفور دعاية ضعيفة قوبلت بكثير من التجريح والتشهير . فنظم الشاعر هذه القصيدة مناجاة لطائر مغلول ضمنها رأيه فى النزاع القائم بين انصار الحجاب ودعاة السفور . نظمت فى سنة ١٩٠٨

وصف الطائر الأسير — مكانته من نفس الشاعر — حياة الرق — الطائر بين أسر ظالم وحرية مهددة — الحكم للقوة — مثل من تاريخ الاسلام — دعاء

صدّاحُ يا ملك الكنا رِ ويا أميرَ البُلبل [١]

قد فزتُ منك (بمعبدٍ) ورُزقتُ قربَ (الموصِلى) [٢]

وأُتيحَ لى (داودُ) مِز ماراً وحسنَ ترتل [٣]

فوق الأسرةِ والمنا بر قطُ لم تترجَّل [٤]

تهتز كالدينـــار فى مُرتجِّ لحظِ الأحول [٥]

---

(١) الصداح الصياح الرفيع الصوت . الكنار والكنارى طائر حسن الصوت ريشه أبيض يضرب الى الصفرة وقوادم جناحيه طويلة الى الخضرة وينسب الى جزائر كناريا وهى الجزائر الخالدات . البلبل طائر صغير سريع الحركة يضرب به المثل فى طلاقة اللسان

(٢) معبد مغن مشهور كان أيام الدولة الاموية والموصلى يطلق على اسحاق الموصلى وابنه ابراهيم وكانا مغنيين وكان لهما مع ذلك فقه وأدب (٣) داود النبي ومزاميره ما كان يترنم به من الادعية والاناشيد (٤) الترجل أن ينزل المرء عن ركوبته ويمشى

(٥) الأحول من فى عينه حول

وإذا خطرتَ على الملا ‏ ‏ عبِ لم تدع لممثل [١]

ولك ابتداءات (الفرز ‏ ‏ دق) فى مقاطع (جِرول) [٢]

ولقد تخذتَ من الضُّحى ‏ ‏ صُفرَ الغلائل والحلى [٣]

ورويتَ فى بيض القلا ‏ ‏ نسِ عن عذارى الهيكل [٤]

* * *

يا ليت شعرىَ يا أسيرُ ‏ ‏ شجٍ فؤادُك أم خَلِ ؟ [٥]

وحليفُ سهدٍ أم تنا ‏ ‏ مُ الليلَ حتى ينجلى ؟ [٦]

بالرغم منى ما تعـا ‏ ‏ لجُ فى النُّحاس المقفل [٧]

حِرصى عليك هوًى، ومَن ‏ ‏ يُحرِز ثميناً يبخـل

(١) لم تدع لممثل أى لم تترك له ما يجيده من التمثيل والغناء لانك أجود صوتاً وفناً من كل مغن وممثل (٢) الفرزدق لقب همام بن صعصعة الشاعر المشهور كان فى صدر الدولة الاموية وجرول اسم الحطيئة وهو شاعر أدرك الجاهلية والاسلام . والابتداءات أوائل القصائد والمقاطع جمع مقطع وهو آخر بيت من القصيدة (٣) الغلائل واحدتها غلالة بكسر الغين وهى شعار يلبس تحت الثوب يشير بهـذا المجاز الى أن طائره الصداح أصفر اللون

(٤) القلانس جمع قلنسوه نوع من لباس الرأس . العذارى جمع عذراء وهى البكر . الهيكل معناه هنا الموضع فى صـدر الكنيسة يقرب فيه القربان كما تزعم النصارى ، وفى هذا البيت أنواع من المجاز ثم كناية عن المعنى المقصود وهو يريد أن طائره أبيض الرأس كانه يلبس قلنسوة بيضاء كالعذارى الراهبات المنقطعات لخـدمة الهيكل (٥) الشجى المشغول والخلى الخالى من الهم (٦) الحليف كل شىء لزم شيئاً آخر فلم يفارقه السهد الارق وعدم النوم . ينجلى يمضى (٧) ما تعالج أى ما تزاول وتمـارس والمراد بالنحاس المقفل القفص الذى حبس فيه الطائر

والشحُّ تُحدثه الضرو ‏ ‏ رةُ فى الجوادِ المُجزل [١]

أنا إن جعلتُكَ فى نُضا ‏ ‏ رِ بالحـريرِ مُجلَّل [٢]

ولففتُه فى سَوْسَنٍ ‏ ‏ وحففتُه بقرنفـل [٣]

وحرقتُ أزكى العودِ حو ‏ ‏ لَيـه وأغلى الصَّندل

وحملتُـه فوقَ العيو ‏ ‏ نِ وفوق رأس الجدول [٤]

ودعوتُ كل أغرَّ فى ‏ ‏ مُلْكِ الطيورِ محجَّل

فأتتك بين مُطارِحٍ ‏ ‏ ومحبِّـذٍ ومدلَّل [٥]

وأمرتُ بأبنى فالتقا ‏ ‏ كَ بوجهـه المتهلِّل [٦]

بيمينـــه فالوذَجٌ ‏ ‏ لم يُهدَ (للمتوكل) [٧]

وزُجاجةٌ من فضة ‏ ‏ مملوءةٌ من سَلسل [٨]

ما كنتُ يا (صداحُ) عنـدكَ ‏ ‏ بالكريم المُفْضِل

شُهْدُ الحياةِ مشوبةٌ ‏ ‏ بالرق مثلُ الحنظل [٩]

والقيدُ لو كان الجما ‏ ‏ نَ منظماً لم يُحمَل [١٠]

(١) الجواد الـكريم . المجزل المكثر من العطاء (٢) النضار الذهب . المجلل المغطى (٣) السوسن بفتح السين الاولى وضمها نبات طيب الرائحة (٤) العيون هنا عيون الماء الجدول النهر الصغير (٥) المدلل بفتح اللام المرفه (٦) المتهلل المتلألئ (٧) الفالوذج حلواء من دقيق وعسل وماء . المتوكل أحد الخلفاء العباسيين (٨) السلسل الخمر اللينة (٩) الشهد بضم الشين وفتح الهاء جمع شهدة كغرفة وغرف هى العسل (١٠) الجمان اللؤلؤ

يا طيرُ لولا أن يقو   لوا جُنَّ قلتُ تعقل
اسمع فربَّ مفصَّل   لك لم يفدك كمجمِل
صبراً لما تشقى به   أو ما بدا لك فافعل
أنت ابنُ رأى للطبيـعة   فيك غير مبدَّل
أبداً مروعٌ بالإسا   رِ مهدَّدٌ بالمقتـل (١)
إن طرتَ عن كنفى وقعـ   ـتَ على النسور الجهَّل (٢)

* * *

يا طيرُ والأمثالُ تضـ   ـرب للبيبِ الأمثل (٣)
دنياك من عاداتِها   ألَّا تكونَ لأعزل (٤)
أو للغبي وإن تعلَّـ   ـل بالزمان المقبل
جعِلت لحر يبتَلى   فى ذى الحياةِ ويَبتلى
يَرْمى ويُرمَى فى جها   دِ العيشِ غيرَ مغفَّل
مستجمِع كالليثِ إن   يُجهل عليه يَجهل (٥)
أسمعت بالحكَمَيْن فى الـ   إسلام يوم (الجَنْدلِ) (٦)

(١) الاسار الاسر (٢) الكنف الجانب والناحية (٣) الامثل الافضل
(٤) الاعزل من لاسلاح عنده (٥) المستجمع من يبذل غاية امكانه . يجهل عليه يتسافه عليه (٦) الحكمان هما أبو موسى الاشعرى ارتضاه الامام على حكماً له وعمرو ابن العاص اختاره معاوية حكماً له وقصة هذا التحكيم مشهورة . يوم الجندل هو أحد أيام الحرب بين على ومعاوية والجندل اسم مكان

فى الفتنة الكُبرى ولو   لا حكمةٌ لم تُشعَل (١)
رضى الصحابةُ يوم ذ   لك بالكتاب المُنزل (٢)
وهم المصابيحُ الروا   ةُ عن النبى المرسَل
قالوا الكتاب وقام كُلٌّ   مفسِّر ومؤوِّل
حتى إذا وسعت (معا   وية) وضاق بها (على) (٣)
رجَعوا لظلم كالطبا   ئع فى النفوس مؤصَّل
نزلوا على حكمِ القو   ىّ وعند رأى الأحيَل (٤)
صدَّاح حقٌّ ما أقو   ل حفِلتَ أم لم تحفل
جاورتَ أندى روضةٍ   وحللتَ أكرم منزل
بين الحفاوةِ من (حُسيـن)   والرعاية من (على)
وحنانِ (آمنةٍ) كأمـ   ـك فى صباكَ الأول (٥)

(١) ولولا حكمة أى ولولا حكمة أرادها الله تعالى لم تشعل تلك الفتنة (٢) رضى الصحابة الخ وذلك أن أصحاب معاوية لما رأوا أن الهزيمة ستكون لهم رفعوا المصاحف على أطراف الاسنة ونادوا عليا وأصحابه أن ينزلوا وإياهم على كتاب الله فأمر على أصحابه أن يكفوا عن الحرب (٣) حتى اذا وسعت معاوية أى حتى اذا وسعت ولاية الامر معاوية بسبب أن الحيلة التى فعلها عمرو بن العاص جازت على أبى موسى الاشعرى رجعوا لظلم الى آخر ما فى البيتين (٤) الاحيل الاكثر حيلة (٥) حسين وعلى وآمنة أبناؤه

صحْ بالصباح وبشر الا   أبناء   بالمستقبـــل

واسأل لمصرَ عنـايةً   تأتى وتهبط من عَل

قل ربَّنا افتح رحمـةً   والخيرَ منك فأرسـل

أدرك كنانتَك الكريـمةَ   ربنا وتقبـل

رومة

نظمت هذه القصيدة فى فاتحة سنة ١٩٠٠ على أثر زيارته لهذه المدينة

وقفة على أطلال الرومان — غاية الناس من تنازع البقاء — رومة بين عصرين — أحزان المدن

قف بروما وشاهد الأمرَ واشهد   أن للملكِ مالكاً سبحانهْ

دولةٌ فى الثَّرى وأنقاضُ مُلكٍ   هدمَ الدهرُ فى العُلاَ بنيانه[1]

مَزقت تاجَه الخطوبُ وألقت   فى التراب الذى أرى صولَجانَه[2]

طللٌ عنـد دمنةٍ عنـد رسمٍ   ككتاب محا البِلاَ عُنوانَه[3]

وتمـاثيلُ كالحقائقِ تزدا   دُ وضوحًا على المدى وإبانَه[4]

من رآها يقولُ هـذِى ملوكُ الـ   ـدهرِ ، هذا وقارُهم والرزانَه[5]

وبقـايا هيا كلٍ وقصورٍ   بين أخذِ البِلى ودَفعِ المتانَه[6]

---

(١) الثرى التراب . الانقاض جمع نقض بضم النون وهوما انتقض من البنيان . العلا الرفعة والشرف (٢) الصولجان هو المحجن وهو عصا منعطفة الرأس (٣) الطلل ما شخص من آثار الديار . الدمنة آثار الديار أيضاً . الرسم ما كان لاحقاً بالارض من آثار الدار (٤) تماثيل جمع تمثال بكسر التاء . الابانة الايضاح (٥) الوقار والرزانة بمعى واحد وهو الحلم والعظمة (٦) هيا كل جمع هيكل وهوهنا اما البناء المرتفع واما بيت الاصنام

عبثَ الدهرُ بالحواريّ فيها   و« بيليوسَ » لم يهبْ أرجوانَه[١]

وجرت ها هنا أمورٌ كبارٌ   واصلَ الدهرُ بعدها جريانَه

راح دينٌ وجاء دينٌ وولّى   ملكُ قومٍ وحلَّ ملكٌ مكانَه[٢]

والذى حصّلَ المجدون إهرا   قُ دماءٍ خليقةٍ بالصيانه[٣]

ليتَ شعرى إلامَ يقتتل النا   سُ علَى ذى الدّنيّةِ الفتانَه[٤]

عالمٌ قلّبٌ وأحلامُ خلقٍ   تتبارى غباوةً وفطانه[٥]

رومة الزّهوِ فى الشرائعِ، والحكـ   ـمةِ فى الحُكمِ، والهوى والمجانه[٦]

والتّناهى فما تعدّى عزيزاً   فيكِ عزٌّ ولا مَهيناً مَهانه[٧]

ما لحيٍّ لم يُمسِ منكِ قبيلٌ   أو بلادٌ يعدها أوطانَه[٨]

---

(١) الحوارى الناصر والناصح أيضاً . بيلوس هو بيلوس قيصر أحد قياصرة الرومان الاقدمين . الارجوان صبغ أحمر وقيل هو الحمرة من الالوان والمراد به هنا الدم لحمرته كناية عن القوة التى يستحل صاحبها سفك الدماء (٢) راح دين ذهب وهو دين الرومان قبل النصرانية وجاء دين وهو النصرانية . وولى ملك الرومان الاقدمين وحل مكانه ملك الغالبين بعد ذلك التاريخ (٣) والذى حصل المجدون الخ أى ان أولئك الذين سعوا بالحرب والقتال ليحلوا فى رومة ديناً بدل دين ويقيموا ملكا جديداً على أنقاض ملك ذاهب لم يجنوا من ذلك كله ثمرة الا اراقة دماء البشر التى تستحق الصيانة والحفظ (٤) الدنية الفتانة هى الدنيا

(٥) القلب بتشديد اللام المحتال (٦) الزهو المنظر الحسن والكبر التيه والفخر . المجانة الهزل (٧) التناهى بلوغ النهاية . فما تعدى عزيزاً الخ أى انك بلغت النهاية فى كل شيء فمن كان فيك عزيزاً لم يفته شيء من أسباب العز ومن كان مهيناً لم يفته شيء من موجبات المهانة (٨) أى لم يكن لغير أهلك عشيرة يعبرون بها ولا بلاد يتخذونها وطناً يلجأون اليه لانك أسقطت العشائر والعصبيات وغلبت الجميع على أوطانهم

يصبحُ الناسُ فيك مولًى وعبداً   ويرى عبدُكِ الورى غلمانَه[١]

أينَ مُلكٌ فى الشرقِ والغربِ عالٍ   تحسُد الشمسُ فى الضُّحى سلطانه ؟[٢]

قادرٌ يمسخُ الممالكَ أعمـا   لاً ويعطى وسيعَها أعوانَه[٣]

أين مالٌ جبيتـهِ ورعايا   كلُّهم خازنٌ وأنتِ الخزانه ؟[٤]

أين اشرافُكِ الذين طغَوا فى الـ   ـدهرِ حتى أذاقَهم طغيانه ؟[٥]

أيْنَ قاضيكِ ؟ ما أناخَ عليه ؟   أينَ ناديكِ ؟ ما دها شيخانه ؟[٦]

قد رأينا عليكِ آثارَ حزنٍ   ومنَ الدور ما ترى أحزانَه

اقصِرى واسألى عن الدهر مصراً   هل قضت مرتين منه اللُّبانه[٧]

إن من فرّقَ العبادَ شعوباً   جعلَ القِسط بينها ميزانَه[٨]

هبْكِ أفنيتِ بالحدادِ الليالى   لن تردّى علَى الورَى رومانَه[٩]

---

(١) يصبح الناس فيك الخ يعنى أن أهلك كانوا سادة وعبيداً وكان العبيد على الاجانب عز السادة وسلطانهم (٢) سلطانه قوته (٣) قادر وصف للملك فى البيت المتقدم . يمسخ الممالك أعمالا أى يحولها أعمالا والاعمال ما يكون من البلاد تحت حكم المملكة ومضافا اليها

(٤) جبيته جمعته (٥) الاشراف جمع شريف وكانت فى رومة لعهدها القديم طائفة الاشراف تسودت على من عداها ونشأ بذلك فى الشعب فريقان منفصلان هما فريق السادة المسيطرين وفريق العامة المسخرين (٦) أين ناديك المراد به دار ندوة الرومان وكانت هى ما نسميه الان فى النظم الدستورية مجلس الشيوخ . ما دهى ما أصاب . شيخانه جمع شيخ وهو الرجل تتألف منه ومن سواه جماعة المجلس (٧) اقصرى أى انتهى عند هذا الحد وامسكى عن الاسترسال . اللبانة الحاجة (٨) القسط العدل (٩) هبك اسم فعل أى افرضى أنك أفنيت الخ

بنك مصر

ألقيت هذه القصيدة بدار الاوبرا الملكية سنة ١٩٢٠ احتفالاً بانشاء بنك مصر

دولة المال — حظوظ الناس — العلم والمال — نداء للأغنياء

قِفْ بالممالكِ وأنظرْ دولةَ المالِ ... واذكرْ رجالا أدالوها بإجمال

وانقلْ ركابَ القوافي في جوانبها ... لا في جوانب رسمِ المنزلِ البالي

ماهيكلُ الهرمِ الجيزيّ من ذهبٍ ... في العين أزين من بنيانِها الحالي

علا بها الحرصُ أركاناً وأخرجها ... عَلَى مِثالٍ من الدنيا ومِنوال

فيها الشقاءُ لقومٍ والنعيمُ لهم ... وبؤسُ ساعٍ ونُعمَى قاعدٍ سال

والمالُ مُذْ كان تمثالٌ يُطافُ به ... والناسُ مذ خُلقوا عبادُ تمثال

إذا جفا الدورَ فانعَ النازلين بها ... أو الممالكَ فاندُبْها كأطلال

يا طالباً لمعالى الملك مجتهداً ... خُذْهامن العلم أوخُذهامن المال

بالعلمِ والمالِ يبنى الناسُ مُلكهمُ ... لم يُبنَ ملك عَلَى جهْلٍ وإقلال

سُراةَ مصرَ عهدنا كم إذا بُسطتْ ... يدُ الدعاءِ سراعًا غيرَ بُخال

تبينَ الصدقُ من مينِ الأمور لكم ... فامضوا إلى الماء لا تلوُوا على الآل (1)

(١) الآل السراب

لا يذهب الدهرُ بين الترهاتِ بكم ... وبين زهرٍ من الأحلام فتّال

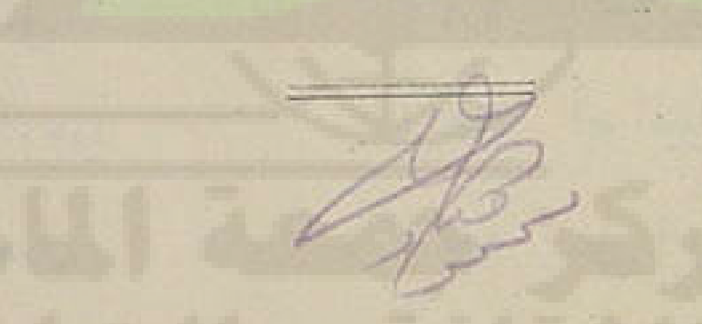
هاتوا الرجالَ وهاتوا المالَ واحتشدوا ... رأياً لرأيٍ ومثقالاً لمثقال

هذا هو الحجرُ الدريُّ بينكمو ... فابنوا بناءَ قريشٍ بيتَها العالي

دارٌ إذا نزلتْ فيها ودائعكم ... أودعتم الحبَّ أرضاً ذاتَ إغلال

آمالُ مصرَ إليها طالما طمحتْ ... هل تبخلونَ عَلَى مصرٍ بآمال ؟

فابنوا عَلَى بركاتِ اللهِ واغتنموا ... ما هيأ الله من حظٍّ وإقبال



فهرست الكتاب

١/١٩٠٠٠/٤/١٩٢٧

